رِيُّ الظَّمْآن

مِن

دُرُوسِ العَصْرِ فِي رَمَضَان

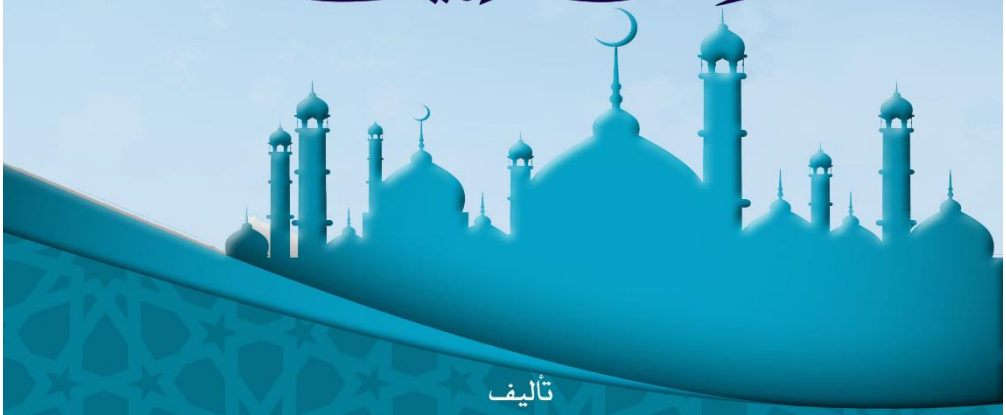

تأليف

السيد مراد سلامة

إمام وخطيب ومدرس بوزارة الأوقاف

المكتبة المرادية

ري الظمآن
من
دروس العصر في رمضان

تأليف

السيد مراد سلامة
إمام وخطيب ومدرس بوزارة الأوقاف

المكتبة المرادية

إهداء ثواب هذا الكتاب

إلى كل من مات من شباب قريتنا ولم يتزوج ليبقى لهم نورا في قبورهم

وزادا في حسناتهم

ورفعة لدرجاتهم

فأسال الله العظيم أن يكتب لهم بكل حرف فيه ألف الف حسنة

وأن يرفعهم بكل كلمة في الف لف درجة

وأن ينير به قبورهم

وأن يونس به وحشتهم

إنه ولي ذلك والقادر عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده وستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) [آل عمران/١٠٢]﴾

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) [النساء/١]﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آَذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) [الأحزاب/٦٩-٧١]﴾

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثاتها بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

أما بعد:

أخي المسلم .... أختي المسلم: إن من أعظم الشهور مكانة عند الله-تعالى - شهر اختصه الله -تعالى -بإنزال كتابه وإرسال رسله شهر هو ميلاد الأمة الإسلامية شهر تُقال فيه العثرات وتغفر فيه الزلات وترفع فيه الدرجات

وتفتح في أبواب الجنات وتعتق في رقاب المسلمين والمسلمات إنه شهر قال الله عنه {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} [البقرة: ١٨٥]

وأخبرنا رسولنا ﷺ أنه شهر الكتب السماوية وعن واثلة بن الأسقع عن رسول الله ﷺ:" أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشر خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان". (١)

و شهر رمضان هو غنيمة من أعظم الغنائم التي ينبغي على الدعاة و الأئمة و المصلحين أن ينتهزوها لبث العلم الشرعي و المواعظ التي ترقق القلوب و تقرب من علام الغيوب، فنفوس المسلمين الصائمين في هذا الشهر صافية و قلوبهم مخبتة، فيها من دواعي القبول والتوبة و الرجوع ما الله تعالى به عليم ....، شهر رمضان قيل سمي شهر رمضان لشدة الحر فيه، وقيل أخذ من حرارة الحجارة لما يأخذ القلوب من حرارة الموعظة والفكرة والاعتبار بأمر الآخرة، وسمي رمضان بذلك لأنه يرمض الذنب- أي يحرقها وقيل سمي بذلك لأنه شهر يغسل الأبدان غسلا ويطهر القلوب تطهيرا.....و قد رأيت أن أضع للدعاة و الأئمة في هذا العام كتابا جديدا يختلف عن الكتب التي أصدرتها قبل ذلك في السنوات الماضية (٢) و هذا

---

١ – أخرجه أحمد (١٠٧/٤، رقم ١٧٠٢٥)، والطبراني (٧٥/٢٢، رقم ١٨٥) وحسنه الألباني في "صحيح الجامع" رقم (١٥٠٩).

٢ – الكتب ١– لماذا نصوم رمضان ٢– يومئذ يفرح الصائمون ٣– اللآلئ الحسان من أوصاف شهر رمضان ٤– مشكاة المصابيح لجلسة صلاة التراويح ٥– إشراق المصابيح لجلسة صلاة التراويح ٦– الأماليح لجلسة صلاة التراويح ٧–الفتح الرباني لمنهج الإمام الرمضاني ٨– الدرر البهية من الفتاوى الرمضانية ٩–الاربعون الرمضانية ١٠–اريج العطر في بيان أحكام زكاة الفطر ١١– نفح الريح لجلسة صلاة التراويح، ١٢– المواعظ العصرية للدروس الرمضانية (أكثر هذه الكتب موجودة على مواقع { الالوكة وموقع صيد الفوائد ، ومكتبة نور } لمن أراد تحميلها

الكتاب عبارة عن ثلاثين موعظة و سميته { ري الظمآن من دروس العصر في رمضان) تلقى هذا المواعظ بعد صلاة العصر و قد صفت القلوب و تعلقت بعلام الغيوب فهي تنزل على القلوب نزول الغيث على الأرض الخصبة، فتتقبلها أرض القلوب و تتشربها النفوس، لتنبت حَب الحُب و تثمر قُرب القرب، فتخشع القلوب و تلين، قال الله تعالى ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٢٣]

فكم من عاص قد تاه في بيداء الحياة يحتاج إلى هاد يهديه إلى طريق النجاة، جاء إلى المسجد في رمضان

وكم من مفرط تلاعبت به أمواج الفتن يحتاج إلى من يأخذ بيديه إلى ساحل الهداية، جاء إلى المسجد في رمضان

وكم من ظمآن يحتاج إلى من يسقيه من كأس القرآن، جاء إلى المسجد في رمضان

كل هؤلاء وغيرهم قد أقبلوا إليك أيها الداعية في شهر رمضان، فأنت طبيبهم وأنت دليلهم وهاديهم بإذن الله إلى الصراط المستقيم....

وفي هذا الكتاب من الأدوية الربانية والوصفات القرآنية ما تشفى به علل القلوب والنفوس وتسموا به الأرواح ..... فللموعظة مكان معروف في قلوب الطيبين، تذكرهم بالخير، وتدعوهم إلى الاستقامة، تبشرهم وتنذرهم، ترغبهم في التوبة والعودة والإنابة إلى الله والمسارعة في الخيرات.

"فاللهَ الله! اغتنموا هذِه الْفَضيلة في هذه الْأَيَّام القليلة، تعقبكم النِّعْمَة الجزيلة، والدرجة الجليلة، والراحة الطَّويلة إن شاءَ الله، هذه والله الرَّاحَة الوافرة، والمنزلة السائرة، والْحالة الرضيَّة، والْجنَّة السريَّة، والنعْمَة الهنية، والعيشة الرضية، لا تُنال إِلَّا بالوقار، لهذا الشَّهْر الَّذي عظمه الجَبَّار، وفضَّل بِهِ محمَّدًا الْمُخْتار، ومَن لا يوقِّره كان مصيره إلى النَّار (١)

فاللهم اجعل هذا العمل خالصا لوجهك الكريم وجعله نصرة لنبيك الأمين، واجعله زادا لي وللمؤمنين في الدنيا وفي الآخرة وأعوذ بك أن أقول زورا أو أغشى فجورا أو أن أكون بك مغرورا يا رب العالمين.

وما ذاك مني بل من الله وحده بعفو وإمداد وفضل ونعم

فإن أَكُ فيها مخطئا أو مغالطا فمن ذات نفسي كل خطئي وغلطتي

أتوب إلى الرحمن من كل غلطة واستغفر الرحمن لي ولإخوتي

وأسأله جل اسمه بصفاته وأسمائه الحسني قبول رسالتي

تأليف

أبو همام / السيد مراد عبد العزيز سلامة

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

hamam4111@gmail

الدرس الأول

القول السديد في فضل التوحيد

---

١ – بستان الواعظين لابن الجوزي، ص (٢٣٢).

الحمد لله الذي تفرَّد بجلال ملكوته، وتوحَّد بجمال جبروته، وتعزَّز بعلوِّ أحديَّته، وتقدَّس بسمو صمديَّته، وتكبَّر في ذاته عن مضارعة كل نظير، وتنزَّه في صفائه عن كل تناهٍ وقصور، له الصفات المختصة بحقه، والآيات الناطقة بأنه غيرُ مُشبَّه بخلقه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، شهادة موقن بتوحيده، مستجير بحسن تأييده، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه.

هذا النبي محمدٌ خيرُ الورى ونبيُّهم وبه تَشرَّف آدمُ
وله البها وله الحياءُ بوجهه كلُّ الغنى مِن نوره يتقسَّمُ
يا فوزَ مَن صلَّى عليه فإنه في جنة المأوى غدًا يتنعَّمُ
صلى عليه الله جلَّ جلالُه ما راح حادٍ باسمه يترنَّمُ

وعلى آله وأصحابه ومن سار على نَهْجه، وتمسَّك بسنته واقتدى بهديه، واتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم يا أرحم الراحمين، أما بعد:

فيا أحباب الحبيب المحبوب حبيب علام الغيوب - صلى الله عليه وسلم - نقف في هذا اليوم الطيب المبارك مع فضل كلمة التوحيد التي هي القول السديد، و التي هي العروة الوثقى، و التي هي العهد ،و التي هي الكلمة الطيبة ، فأعيروني القلوب والأسماع.

اعلم علمني الله تعالى و إياك: أن توحيد الله تعالى هو العاصم من القواصم و هو سفينة النجاة من بحار الشبهات و الشهوات، و فيه السعادة حيث معرفة الله تعالى بأسمائه و صفاته و معرفة نعوت الجلال و صفات الكمال ،و معرفة ما يجب و ما يستحيل عليه -سبحانه و تعالى- ، فإذا استقرت كلمة التوحيد في قلوب العبيد أثمرت الثمار اليانعة في الدنيا و الآخرة .

تعال أخي الحبيب لنرى بعض تلك الثمار التي بينها لنا العزيز الغفار والنبي المختار ﷺ .

أولا : الأمن في الدنيا و الأخرة : فمن علم أنه إذا وحد الله سبحانه و تعالى – فإنه ينال تلك الجائزة التي يبحث عنها جميع البشر الا و هي نعمة الأمن

فإن ذلك يعوه الى توحيد الغني الحميد – سبحانه و تعالى - أن الموحدين لهم الأمن وهم مهتدون؛ قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } [الأنعام: ٨٢]

وقول الله تعالى: { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } الآية.

قوله: { لم يلبسوا } ، أي: يخلطوا.

قوله: { بظلمٍ } ، الظلم هنا ما يقابل الإيمان، وهو الشرك، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ} قلنا: يا رسول الله: أينا لم يظلم نفسه؟ قال: "ليس كما تقولون: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ} بشرك، أولم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: {يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}.][1].

والظلم أنواع

١-أظلم الظلم، وهو الشرك في حق الله.

٢-ظلم الإنسان نفسه؛ فلا يعطيها حقها، مثل أن يصوم فلا يفطر، ويقوم فلا ينام.

٣-ظلم الإنسان غيره، مثل أن يتعدى على شخص بالضرب، أو القتل، أو أخذ مال، أو ما أشبه ذلك.

وإذا انتفى الظلم، حصل الأمن، لكن هل هو أمنٌ كامل؟

الجواب: أنه إن كان الإيمان كاملاً لم يخالطه معصيةٌ؛ فالأمن أمنٌ مطلق، أي كامل، وإذا كان الإيمان مطلق إيمانٍ - غير كامل -؛ فله مطلق الأمن؛ أي: أمن ناقص. مثال ذلك: مرتكب الكبيرة، آمنٌ من الخلود في النار، وغير آمن من العذاب، بل هو تحت المشيئة، قال الله تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا } [النساء: ٤٨]..

[1]– أخرجه البخاري برقم (٣٣٦٠) ومسلم برقم (١٢٤).

ثانيا: توحيد مفزع العبيد عند كل خطب شديد ويقول سبحانه و تعالى في وصف حال نبيه يونس عليه السلام {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ} [الأنبياء: ٨٧، ٨٨] فلما أصبح تلك الظلمات لجأ إلى رب الأرض و السموات و إلى مفرج الكروب فكان جُل كلامه توحيد تعالى

*و التوحيد مفزع الإنسان و إن كان كافرا بالملك الديان: يقول الله تعالى واصفا حال هؤلاء المشركين { هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٣) يونس } حتى إذا كنتم راكبين في الفلك (السفينة أو السفن) وجرت بكم في البحر بسبب ريح طيبة مواتية للاتجاه في جهة السير، وفرحتم بما تحقق لكم من راحة وقطع مسافة، ثم جاءت تلك السفن ريح عاصفة شديدة قوية، فاضطرب البحر، وتلاطمت بالأمواج العالية من مختلف الجهات، وظننتم أي اعتقدتم أنكم هالكون لا محالة بسبب إحاطة الموج، فلم تجدوا ملجأ إلا اللّه، فدعوتموه مخلصين له الدعاء والعبادة والتضرع، ولم تتجهوا إلى آلهتكم من الأوثان، وقلتم: لئن أنجانا اللّه من هذه المخاطر الجسيمة، لنكونن من جماعة الشاكرين النعمة، الموحدين اللّه، ثم بعد النجاة عدتم إلى الكفر، كما قال تعالى في الآية السابقة: وَإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ الضُّرُّ، دَعانا لِجَنْبِهِ أَوْ قاعِداً أَوْ قائِماً، فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ، مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنا إِلى ضُرٍّ مَسَّهُ [يونس ١٠/ ١٢].

وقال هنا: فَلَمَّا أَنْجاهُمْ... أي فلما نجاهم من تلك الورطة، عادوا فجأة إلى سيرتهم الأولى من البغي وإلحاق الظلم بالنفس وبالآخرين، وكأن شيئا لم

يكن، كقوله تعالى:{ وَإِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ، ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ، فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ، وَكانَ الْإِنْسانُ كَفُوراً} [الإسراء ١٧/ ٦٧].(١)

بالتوحيد تغفر الذنوب و تكفر السيئات: - يغفر الله بالتوحيد الذنوب ويكفر به السيئات، ففي الحديث القدسي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْاَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» (٢)

((يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء)) أذنبت الذنوب الكثيرة العظيمة التي ملأت الأرض وارتفعت إلى عنان السماء، إلى السحاب، إلى الأفق فإنك يقول: لو بلغت ذنوبك كثرة إلى عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، لكن بالشروط المعروفة، مع انتفاء الموانع المعروفة، غفرت لك ((يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض)) يعني بملء الأرض أو بما يقارب ملئها ((خطايا، ثم لقيتني)) بشرط ((لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة)) لا تشرك بي شيئاً نكرة يشمل قليل الشرك وكثيره، صغيره وكبيره، وبهذا يستدل جمع من أهل العلم أن الشرك الأصغر لا يغفر {إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء} [(٤٨) سورة النساء] الكبائر كلها تحت المشيئة، لكن الشرك لا يقبل المغفرة، لكن الفرق بين الشرك الأصغر والذنوب أنه لا بد من أن يعذب عليها، والفرق بينه وبين الأكبر أن صاحب الشرك الأكبر مخلد في النار، لكن صاحب الشرك الأصغر إذا عذب مآله إلى الجنة.

---

١ – التفسير المنير للزحيلي ١١/ ١٤٥

٢ – سنن الترمذي(٣٨٨٥) والصحيحة (١٩٥١) وصحيح الجامع (٤٣٣٨) صحيح لغيره

((لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة)) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

وهذا يبين عظمة التوحيد، وتحقيق التوحيد، وتصفية التوحيد من شوائب الشرك صغيره وكبيره، من البدع من المعاصي ليدخل الجنة وينجو من النار، وهنا أيضاً وعيد لمن لا يشرك بالله شيئاً، يعني جميع صور الشرك كفيلة بأن يغفر للإنسان ما اقترفه من ذنوب،)([١])

شهادة ضمان لدخول جنة الرحمن :يدخل الله به الجنة، فعن عن عبادة بن الصامت، عن رسول الله ﷺ ، قال «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إلا الله، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسى عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالْنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ الله الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ » ([٢])

وفي حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْ ماتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ وَقُلْتُ أَنا: مَنْ ماتَ لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ» ([٣]).

-براءة من النار التوحيد يمنع دخول النار بالكلية إذا كمل في القلب ففي حديث عتبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ((...إن اللَّه تعالى قد حَرَّمَ على النار من قال لا إله إلا اللَّه يَبْتَغِي بذلك وجه اللَّه. ([٤]).

[١] – شرح الأربعين النووية – عبد الكريم الخضير

[٢] – خرجه أحمد (٣١٣/٥ ، رقم ٢٢٧٢٧) ، والبخاري (١٢٦٧/٣ ، رقم ٣٢٥٢) ، ومسلم (٥٧/١ ، رقم ٢٨) ، وابن حبان (٤٣١/١ ، رقم ٢٠٢) . وأخرجه أيضًا : النسائي (٣٣١/٦ ، رقم ١١١٣٢) .

[٣] – أخرجه أحمد (١٦١/٥ ، رقم ٢١٤٧١) ، ومسلم (٦٨٨/٢ ، رقم ٩٤) ، والترمذي (٢٧/٥ ، رقم ٢٦٤٤) ، وقال : حسن صحيح . والنسائي في الكبرى (٢٧٤/٦ رقم ١٠٩٥٥) ، وابن خزيمة في التوحيد (ص ٣٤٤ ، ٣٣٥) ، وابن حبان (٣٩٤/١ ، رقم١٧٠) . أخرجه أيضًا : البزار (٣٩٤/٩ ، رقم ٣٩٨١) ، وابن منده في الإيمان (٢٢١/١ ، رقم ٨٢) .

[٤] –) أخرجه البخاري برقم "٤٢٥" ومسلم برقم "٣٣" وأحمد في مسنده "٤٤/٤"، "٥/٤٤٩".

الدرس الثاني

بيان خطر الشرك

الحمد لله الذي تفرَّد بجلال ملكوته، وتوحَّد بجمال جبروته، وتعزَّز بعلوِّ أحديَّته، وتقدَّس بسمو صمديَّته، وتكبَّر في ذاته عن مضارعة كل نظير، وتنزَّه في صفائه عن كل تناهٍ وقصور، له الصفات المختصة بحقه، والآيات الناطقة بأنه غيرُ مُشبَّه بخلقه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، شهادة موقن بتوحيده، مستجير بحسن تأييده، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه.

هذا النبي محمدٌ خيرُ الورى ونبيُّهم وبه تَشرَّف آدمُ
وله البها وله الحياءُ بوجهه كلُّ الغنى مِن نوره يتقسَّمُ
يا فوزَ مَن صلَّى عليه فإنه في جنة المأوى غدًا يتنعَّمُ
صلى عليه الله جلَّ جلالُه ما راح حادٍ باسمه يترنَّمُ

وعلى آله وأصحابه ومن سار على نَهْجه، وتمسَّك بسنته واقتدى بهديه، واتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم يا أرحم الراحمين، أما بعد:

فيا أحباب الحبيب المحبوب حبيب علام الغيوب - صلى الله عليه وسلم - نقف في هذا اليوم الطيب المبارك مع بيان خطر الشرك بالله تعالى بعدما تعرفنا في اللقاء السابق عن فضل التوحيد و بيان ما د لهم الرحمن فأعيروني القلوب والأسماع.

اعلم **أخي - جنَّبك الله الفتن - أن الشركَ بالله أقبحُ الذنوب وأكبرها على الإطلاق، لا يغفره الله لمن مات عليه، بل هو خالدٌ مخلدٌ في النار لِعظم جُرمه في حق الله الكبير المتعال؛ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾** [لقمان: ١٣]، **وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾** [النساء: ٤٨].

أما بعد:

اعلموا أيها الإخوة المؤمنون أن الشرك بالله جل جلاله من اعظم الذنوب التي لا يغفرها علام الغيوب و هو نوعان:

النوع الأول: الشرك الأكبر، وهو أن يجعل لله ندا، ويعبد غيره من حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو نبي أو شيخ أو نجم أو ملك أو غير ذلك.

النوع الثاني: الشرك الأصغر، وهو أن يريد بعمله غير الله، كمن يصلي أو يصوم لكي يحمده الناس.

أضرار وعقوبات الشرك بالله-تعالى-

الضلال في الدنيا والآخرة، قال الله عز وجل: {وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا}(سورة النساء، الآية: ١١٦.).

- الآية وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيداً. أي: عن الحق. فإن الشرك أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الصواب والاستقامة.

وإنما ذكر في الآية الأولى فَقَدِ افْتَرى لأنها متصلة بقصة أهل الكتاب. ومنشأ شركهم كان نوع افتراء. وهو دعوى التبني على الله تعالى بقولهم نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قاله القاضي.

وفي (السمين): ختمت الآية المتقدمة بقوله فَقَدِ افْتَرى وهذه بقوله فَقَدْ ضَلَّ لأن الأولى في شأن أهل الكتاب وهم عندهم علم بصحة نبوته، وأن شريعته ناسخة لجميع الشرائع، ومع ذلك فقد كابروا في ذلك وافتروا على الله. وهذه في شأن قوم مشركين ليس لهم كتاب ولا عندهم علم. فناسب وصفهم بالضلال.

وأيضا قد تقدم هنا ذكر الهدى وهو ضد الضلال. انتهى.([١])

الشرك الأكبر لا يغفره الله إذا مات صاحبه قبل التوبة، قال الله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا}(سورة النساء، الآية: ٤٨.).

يقول القاسمي – رحمه الله- عقيدة أهل السنة أن الشرك غير مغفور البتة. وما دونه من الكبائر مغفور لمن يشاء الله أن يغفره له. هذا مع عدم التوبة.

[١] – محاسن التأويل ٣/ ٣٤١]

وأما مع التوبة فكلاهما مغفور. والآية إنما وردت فيمن لم يتب ولم يذكر فيها توبة كما ترى. فلذلك أطلق الله تعالى نفي مغفرة الشرك وأثبت مغفرة ما دونه مقرونة بالمشيئة، كما ترى. فهذا وجه انطباق الآية على عقيدة أهل السنة. وأما القدرية فإنهم يظنون التسوية بين الشرك وبين ما دونه من الكبائر. في أن كل واحد من النوعين لا يغفر بدون التوبة، ولا شاء الله أن يغفرهما إلا للتائبين. فإذا عرض الزمخشريّ هذا المعتقد على هذه الآية ردته ونبت عنه. إذ المغفرة منفية فيها عن الشرك وثابتة لما دونه مقرونة بالمشيئة فأما أن يكون المراد فيهما من لم يتب، فلا وجه للتفصيل بينهما بتعليق المغفرة في أحدهما بالمشيئة وتعليقها بالآخر مطلقا.

إذ هما سيّان في استحالة المغفرة. وأما أن يكون المراد فيهما التائب فقد قال في

الشرك إنّه لا يَغْفِرُ والتائب من الشرك مغفور له. وعند ذلك أخذ الزمخشريّ يقطع أحدهما عن الآخر. فيجعل المراد مع الشرك عدم التوبة ومع الكبائر التوبة. حتى تنزل الآية على وفق معتقده فيحملها أمرين لا تحمل واحد منهما: أحدهما- إضافة التوبة إلى المشيئة وهي غير مذكورة ولا دليل عليها فيما ذكر. وأيضا لو كانت مرادة لكانت هي السبب الموجب للمغفرة على زعمهم عقلا. ولا يمكن تعلق المشيئة بخلافها على ظنهم في العقل. فكيف يليق السكوت عن ذكر ما هو العمدة والموجب، وذكر ما لا مدخل له على هذا المعتقد الرديء؟ الثاني- أنه بعد تقريره التوبة احتكم فقدرها على أحد القسمين دون الآخر. وما هذا إلا من جعل القرآن تبعا للرأي. نعوذ بالله من ذلك.

وأما القدرية فهم بهذا المعتقد يقع عليه بهم المثل السائر (السيد يعطي والعبد يمنع) . لأن الله تعالى يصرح كرمه بالمغفرة للمصرّ على الكبائر، إن شاء.

وهم يدفعون في وجه هذا التصريح ويحيلون المغفرة بناء على قاعدة الأصلح والصلاح، التي هي بالفساد أجدر وأحق. انتهى.

عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدواوين عند الله عز وجل ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئا. وديوان لا يترك الله منه شيئا. وديوان لا يغفره الله.

فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله. قال الله عز وجل: إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ الآية. وقال: إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ [المائدة: ٧٢] . وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئا، فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه، أو صلاة تركها. فإن الله عز وجل يغفر ذلك ويتجاوز، إن شاء. وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئا، فظلم العباد بعضهم بعضا، القصاص لا محالة» . رواه الإمام أحمد. وقد تفرد به.(١)

الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، قال الله عز وجل: {وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}(سورة الأنعام، الآية: ٨٨.)، وقال تعالى: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}(سورة الزمر، الآية: ٦٥.).

وقوله:(وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ) يقول تعالى ذكره: ولقد أوحى إليك يا محمد ربك، وإلى الذين من قبلك من الرسل(لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) يقول: لئن أشركت بالله شيئا يا محمد، ليبطلنّ عملك، ولا تنال به ثوابا، ولا تدرك جزاء إلا جزاء من أشرك بالله، وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم.. ومعنى الكلام: ولقد أوحي إليك لئن أشركت ليحبطنّ عملك، ولتكوننّ من الخاسرين، وإلى الذين من قبلك، بمعنى: وإلى الذين من قبلك من الرسل من ذلك، مثل الذي أوحي إليك منه، فاحذر أن تشرك بالله شيئا فتهلك.

ومعنى قوله:(وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) ولتكونن من الهالكين بالإشراك بالله إن أشركت به شيئا.(٢)

---

١ – محاسن التأويل ٣/ ١٤٩

٢ – تفسير الطبري–ط الرسالة–ت أحمد شاكر ٢١/ ٣٢٣

الشرك الأكبر يوجب الله لصاحبه النار ويحرم عليه الجنة، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار"[١].

وقد قال الله عز وجل: {إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ}(سورة المائدة، الآية: ٧٢).

الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار، قال الله عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ}(سورة البينة، الآية: ٦).

الشرك أعظم الظلم والافتراء، قال الله سبحانه وتعالى يحكي قول لقمان لابنه: {يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}(سورة لقمان، الآية: ١٣.)،

يقول العلامة ابن عاشور – رحمه الله- وجملة إن الشرك لظلم عظيم تعليل للنهي عنه وتهويل لأمره، فإنه ظلم لحقوق الخالق، وظلم المرء لنفسه إذ يضع نفسه في حضيض العبودية لأخس الجمادات، وظلم لأهل الإيمان الحق إذ يبعث على اضطهادهم وأذاهم، وظلم لحقائق الأشياء بقلبها وإفساد تعلقها. وهذا من جملة كلام لقمان كما هو ظاهر السياق، ودل عليه الحديث

في «صحيح مسلم» عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أينا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم(٢)

وقال سبحانه: {وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا}(سورة النساء، الآية: ٤٨).

---

[١] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات مشركًا دخل النار، ٩٤/١، برقم ٩٣.

[٢] – التحرير والتنوير ٢١/ ١٥٥]

الله تعالى بريء من المشركين ورسولُهُ ﷺ، قال عز وجل: {وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ}(سورة التوبة، الآية: ٣.).

الشرك يطفئ نور الفطرة؛ لأن الله عز وجل فطر الناس على توحيده وطاعته، قال سبحانه: {فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ}(سورة الروم، الآية: ٣٠.). قال النبي ﷺ: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه"(١)، وفي الحديث القدسي أن النبي ﷺقال فيما يرويه عن ربه تعالى: "إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أُنزل به سلطانًا"(٢).

الشرك الأكبر يبيح الدم والمال؛ لقوله ﷺ : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم **على الله**"(٣).

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، ١١٩/٢، برقم ١٣٥٨، ومسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، ٢٠٤٧/٤، برقم ٢٦٥٨.

(٢) مسلم، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة وأهل النار، ٢١٩٧/١، برقم ٢٨٦٥.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب الإيمان، باب {فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ}، ١٤/١، برقم ٢٥، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ٥٣/١، برقم ٢٠.

الدرس الثالث
ثواب الصدقة على الأقارب

الحمد لله الحكيم الرؤوف الرحيم الذي لا تخيب لديه الآمال، يعلم ما أضمر العبد من السر وما أخفى منه ما لم يخطر ببال، ويسمع همسَ الأصوات وحسَّ دهس الخطوات في وعس الرمال، ويرى حركة الذر في جانب البر، وما درج في البحر عند تلاطُم الأمواج وتراكُم الأهوال، أفلا يستحيي العبد الحقير من مبارزة الملك الكبير بقبح الأفعال، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير.

الكل تحت قهره ونظره في جميع الأحوال، فتبارك مَن وفَّق من شاء لخدمته، فشتان ما بين رجال ورجال عبد الله، يا مسكين:

يا غافلًا والجليل يَحرسه من كل سوء يدبُّ في الظلمِ
كيف تنام العيون عن ملك تأتيه منه فوائد النعمِ

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه.

ماذا يقول المادحون وما عسى أن تجمع الكتاب من معناكَ
صلى عليك الله يا علمَ الهدى ما اشتاق مشتاقٌ إلى رُؤياكَ

وعلى آله وأصحابه ومن سار على نَهجه، وتمسَّك بسنته، واقتدى بهديه، واتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

أما بعد : أيها الأخوة الأحباب من الأعمال التي يؤتي الباري -سبحانه أهلها الأجر مرتين الصدقة على الأقارب الفقراء فإن الله تعالى يجعلها اثنتين ، صدقة وصلة

عن زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن قالت فرجعت إلى عبد الله بن مسعود فقلت إنك رجل خفيف ذات اليد وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة فائته فاسأله فإن كان ذلك يجزىء عني وإلا صرفتها إلى غيركم فقال عبد الله بل ائته أنت فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ مثل حاجتها حاجتي وكان رسول الله ﷺ قد ألقيت عليه المهابة فخرج علينا بلال رضي الله عنه فقلنا له ائت رسول الله ﷺ فأخبره أن امرأتين بالباب يسألانك أتجزىء الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما ولا تخبره من نحن قالت فدخل بلال على رسول الله ﷺ فسأله فقال له رسول الله ﷺ من هما فقال امرأة من الأنصار وزينب فقال رسول الله ﷺ :أي الزيانب قال امرأة عبد الله بن مسعود فقال رسول الله ﷺ: لهما أجران أجر القرابة وأجر الصدق(١)

ذكر ما يستفاد منه احتج بهذا الحديث الشافعي وأحمد في رواية وأبو ثور وأبو عبيد وأشهب من المالكية وابن المنذر وأبو يوسف ومحمد وأهل الظاهر وقالوا يجوز للمرأة أن تعطي زكاتها إلى زوجها الفقير

وقال القرافي كرهه الشافعي وأشهب واحتجوا أيضا بما رواه الجوزجاني عن عطاء قالت أتت النبي امرأة فقالت يا رسول الله إن علي نذرا أن أتصدق بعشرين درهما وأن لي زوجا فقيرا أفيجزىء عني أن أعطيه قال نعم كفلان من الأجر

وقال الحسن البصري والثوري وأبو حنيفة ومالك وأحمد في رواية وأبو بكر من الحنابلة لا يجوز للمرأة أن تعطي زوجها من زكاة مالها ويروى ذلك عن عمر رضي الله تعالى عنه وأجابوا عن حديث زينب بأن الصدقة المذكورة فيه إنما هي من غير الزكاة

وقال الطحاوي وقد بين ذلك ما روي عن رائطة بنت عبد الله امرأة عبد الله بن مسعود وكانت امرأة صنعا وليس لعبد الله بن مسعود مال وكانت تنفق عليه وعلى ولده معها فقالت والله لقد شغلتني أنت وولدك عن

---

١ – أخرجه البخاري ح ١٣٩٣ ومسلم ح ١٠٠٠

الصدقة فما أستطيع أن أتصدق معكم بشيء فقال ما أحب أنه لم يكن لك في ذلك أجر أن تفعلي فسألت رسول الله هي وهو فقالت يا رسول الله إني امرأة ذات صنعة أبيع منها وليس لولدي ولا لزوجي شيء فشغلوني فلا أتصدق فهل لي فيهم أجر فقال لك في ذلك أجر ما أنفقت عليهم فأنفقي عليهم))

ففي هذا الحديث أن تلك الصدقة مما لم يكن فيه زكاة والدليل على أن الصدقة كانت تطوعا كما ذكرنا قولها كنت امرأة صنعا أصنع بيدي فأبيع من ذلك فانفق على عبد الله فإن قلت لم لا يجوز أن يكون المراد من الصدقة التطوع في حق ولدها وصدقة الفرض في حق زوجها عبد الله قلت لا مساغ لذلك لامتناع الحقيقة والمجاز حينئذ (١)

سلمان بن عامر: يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإنه بركة فإن لم يجد تمرا فالماء فإنه طهور وقال الصدقة على المسكين صدقة وهي على ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة (٢)

(الصدقة على المسكين) الأجنبي (صدقة) فقط (وهي على ذي الرحم اثنتان) أي صدقتان اثنتان (صدقة وصلة) فهي عليه أفضل لاجتماع الشيئين ففيه حث على الصدقة على الأقارب وتقديمهم على الأباعد لكن هذا غالبي وقد يقتضي الحال العكس ولهذا قال ابن حجر : عقب الخبر لا يلزم من ذلك أن يكون هبة ذي الرحم أفضل مطلقا لاحتمال كون المسكين محتاجا ونفعه بذلك متعديا والآخر بعكسه (٣)

أبو طلحة وبيرحاء-رضي الله عنه : عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل وكان أحب أمواله إليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[١] — عمدة القاري ج ٩ – ص ٣٢]

[٢] – رواه أحمد ح ١٦٢٧٢ سنن الترمذي ج ٣ – ص ٤٦ ح ٦٥٨وابن ماجة ح ١٨٤٤والنسائي ح ٢٥٨٢ و قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٣٨٥٨ في صحيح الجامع

[٣] – فيض القدير ج ٤ – ص ٢٣٧

يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب . قال أنس فلما أنزلت هذه الآية ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٢]. قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾. وإن أحب أموالي إلي بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله . قال فقال رسول الله ﷺ(بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين) . فقال أبو طلحة أفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه ([1])

يقول بدر الدين العيني - رحمه الله - ذكر ما يستفاد منه فيه أن الرجل الصالح قد يضاف إليه حب المال وقد يضيفه هو إلى نفسه وليس في ذلك نقيصة عليه وفيه اتخاذ البساتين والعقار وقال ابن عبد البر وفيه رد لما يروى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه إنه قال لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا وفيه إباحة دخول العلماء البساتين وفيه دخول الشارع حوائط أصحابه وشربه من مائها وفيه أن كسب العقار مباح إذا كان حلالا ولم يكن بسبب ذل ولا صغار فإن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كره كسب أرض الخراج ولم ير شراها وقال لا تجعل في عنقك صغارا وفيه إباحة شرب من ماء الصديق وكذا الأكل من ثماره وطعامه

قال أبو عمر –رحمه الله-:إذا علم أن نفس صاحبه تطيب بذلك وفيه دلالة للمذهب الصحيح أنه يجوز أن يقال إن الله تبارك وتعالى يقول كما يقال أن الله تعالى قال خلافا لما قاله مطرف بن عبد الله بن الشخير إذ قال لا يقال الله وتعالى يقول إنما يقال قال الله أو الله عز وجل كأنه ينجر إلى استئناف القول وقول الله قديم وكأنه ذهل عن قوله عز وجل ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ [الأحزاب: ٤] وفيه استعمال ظاهر الخطاب وعمومه ألا ترى أن أبا طلحة حين سمع ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾لم

[1] – صحيح البخاري ج٢ – ص ٥٣٠

يحتج أن يقف حتى يرد عليه البيان عن الشيء الذي يريد الله عز وجل أن ينفق عباده منه إما بآية أو سنة تبين ذاك (١)

وأخرج البخاري ومسلم واللفظ له من حديث جابر رضي الله عنه قال: "أَعْتَقَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُذْرَةَ عَبْدًا لَهُ عَنْ دُبُرٍ(٢) ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أَلَكَ مَالٌ غَيْرُهُ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَالَ: مَنْ يَشْتَرِيهِ مِنِّي؟ فَاشْتَرَاهُ نُعَيْمُ بْنُ عبداللهِ الْعَدَوِيُّ بِثَمَانِمِائَةِ دِرْهَمٍ، فَجَاءَ بِهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا، فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلِأَهْلِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ فَلِذِي قَرَابَتِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا يَقُولُ: فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ".(٣)

أهل البيت شركاء في أجر الصدقة:

ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة، فلها أجرها وللزوج بما اكتسب وللخازن مثل ذلك (٤)

صلة الرحم تدفع عن الواصل الخزي:

فقد أخرج البخاري في كتاب بدء الوحي عن عائشة رضي الله عنها قالت: "أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصالحة فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَالتحنث هُوَ التَّعَبُّدُ -اللَّيَالِيَ أُولاَتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ... الحديث، وفيه: "فدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ رضي الله عنها فَقَالَ: "زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي"، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ: "أَيْ خَدِيجَةُ، مَا لِي"، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، قَالَ:

---

١ – عمدة القاري ج ٩ – ص ٣٠

٢ – دبر: أي علق عتقه بموته، فقال: أنت حر يوم أموت

٣ – مسلم: (٢/ ٦٩٢ – ٦٩٣) (١٢) كتاب الزكاة (١٣) باب الابتداء في النفقة بالنفس ... – رقم (٤١).

٤ – متفق عليه: رواه البخاري «١٤٤١» ومسلم «١٠٢٤».

"لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي"، قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلاَّ، أَبْشِرْ، فَوَاللّهِ لاَ يُخْزِيكَ الله أَبَدًا، وَاللّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ - ابن عم خديجة – رضي الله عنها....."؛ (١)الحديث.

١ – متفق عليه، أخرجه البخاري في الصحيح ١/ ٢٢، كتاب بدء الوحي (١)، باب (٣)، الحديث (٣)، وفي ٨/ ٧١٥، كتاب التفسير (٦٥)، سورة {اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} (٩٦)، باب (١)، الحديث (٤٩٥٣)، وفي ١٢/ ٣٥١ – ٣٥٢، كتاب التعبير (٩١)، باب أول ما بُدئ به رسول اللَّه –صلى اللَّه عليه وسلم– من الوحي الرؤيا الصالحة (٩١)، الحديث (٦٩٨٢)، وأخرجه مسلم إلى قوله: ". . نصرًا مؤزرًا" في الصحيح ١/ ١٣٩ – ١٤٢، كتاب الإيمان (١)، باب بدء الوحي إلى رسول اللَّه –صلى اللَّه عليه وسلم– (٧٣)، الحديث (٢٥٢/ ١٦٠).

الدرس الرابع

الذب عن عرض المسلم بالغيب

الحمد لله الذي وفَّق العاملين لطاعته، فوجدوا سعيهم مشكورًا، وحقَّق آمال الآملين برحمة، فمنحهم عطاءً موفورًا، وبسط بِساطَ كرمه للتائبين، فأصبح وزرهم مغفورًا، وأسبَل مِن نعمه على الطالبين وابلًا غزيرًا، سبحانه فتح الباب للطلبين، وأظهر غناه للراغبين، وأطلق للسؤال ألسنة القاصدين، وقال في كتابه المبين: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه، الذي سبَّح نفسه بما أولاه من وده، فقال جل وعلا: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ [الإسراء: ١].

يا سيدي يا رسول الله:

أنت الذي تستوجب التفضيلا فصلُّوا عليه بكرةً وأصيلَا

مُلئت بنبوَّته الوجود فأظهرا بحسامه الدين الصحيح فأسفَرا

ومن لم يُصلِّ عليه كان بخيلًا فصلُّوا عليه وسلموا تسليمَا

وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نَهْجه وتمسَّك بسُنته، واقتدى بهديه، واتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم يا أرحم الراحمين؛ أما بعد:

أخي المسلم الكريم اعلم -زادك الله علما: أن من الضمانات الإيمانية الأخلاقية التي تنبع من بحر المحبة و الترابط أن يدافع المسلم عن عرض أخيه بالغيب ، فمن فعل ذلك نال شهادة ضمان سارية المفعول يدخل بها الجنة إن شاء الله تعالى

عن أسماء بنت يزيد عن النبي ﷺ قال: من ذب عن لحم أخيه بالغيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النار(١)

(من ذب) أي من دفع (عن عرض أخيه) زاد في رواية لمسلم (بالغيبة) قال الطيبي : هو كناية عن الغيبة كأنه قيل من ذب عن غيبة أخيه في غيبته وعلى هذا فقوله بالغيبة ظرف ويجوز كونه حالا (كان حقا على الله أن يقيه) وفي رواية أن يعتقه (من النار) زاد في رواية { وكان حقا علينا نصر المؤمنين } قال الطيبي : هو استشهاد لقوله كان حقا إلخ وفيه أن المستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلا بأن ينكر بلسانه فإن خاف فبقلبه فإن قدر على القيام أو قطع الكلام لزمه وإن قال بلسانه اسكت وهو مشته ذلك بقلبه فذلك نفاق قال الغزالي : ولا يكفي أن يشير باليد أن اسكت أو بحاجبه أو رأسه وغير ذلك فإنه احتقار للمذكور بل ينبغي الذب عنه صريحا كما دلت عليه الأخبار (٢)

عن أبي الدرداء : عن النبي ﷺ قال من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة (٣).

---

[١] – أخرجه أحمد ح ٢٧٦٥٠ والطيالسي ١٦٣٢ والطبراني في الكبير ح ٤٤٢ وابن ابي شيبة ح ٢٥٥٣٩ والبيهقي في الشعب ٧٦٤٣ و قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٦٢٤٠ في صحيح الجامع

[٢]– فيض القدير [جزء ٦ – صفحة ١٢٧]

[٣]– أخرجه احمد ح ٢٧٥٧٦ و الترمذي ح ١٩٣١ و قال الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم : ٦٢٦٢ في صحيح الجامع

يقول المناوي - رحمه الله - (من رد عن عرض أخيه) في الدين أي رد على من اغتابه وشان من أذاه وعابه (رد الله عن وجهه) أي ذانه وخصه لأن تعذيبه أنكى في الإيلام وأشد في الهوان (النار يوم القيامة) جزاء بما فعل وذلك لأن عرض المؤمن كدمه فمن هتك عرضه فكأنه سفك دمه ومن عمل على صون عرضه فكأنه صان دمه فيجازى على ذلك بصونه عن النار يوم القيامة إن كان ممن استحق دخولها وإلا كان زيادة رفعة في درجاته في الآخرة في الجنة والعموم المستفاد من كلمة من مخصوص بغير كافر وغير فاسق متجاهر كما مر وزاد الطبراني في روايته { وكان حقا علينا نصر المؤمنين }(١)

• وها هو الإمام الحافظ المقرئ أبو الحسين الحجَّاجي محمد بن محمد يقول عنه الحاكم: "كان أبو الحسين الحجاجي من الصالحين المجتهدين بالعبادة، صحبته نيفًا وعشرين سنة بالليل والنهار، فما أعلم أن المَلَك كتب عليه خطيئة"(٢)

• وقال خارجة بن مصعب: "صحبت عبدالله بن عون أربعًا وعشرين سنة، فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطية"؛ (٣)

• وعن يحيى القطان قال: "ما ساد ابن عون الناسَ أنْ كان أترَكَهم للدنيا، ولكن إنما ساد ابن عون الناس بحفظ لسانه"(٤)

١– فيض القدير [جزء ٦ – صفحة ١٣٥]

٢ – (السير: ١٦/ ٢٤١).

٣ – (الحلية: ٣/ ٣٧).

٤ – (الحلية: ٣/ ٣٧).

• وقال خُصيف، وعبدالكريم بن مالك: "أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة، ولكن في الكف عن أعراض الناس"(١)

• وكان وهب بن الورد رحمه الله يقول: "والله لَترك الغِيبة عندي أحب إليَّ من التَّصدُّق بجبل من ذهبٍ"(٢)

• وقال أيضًا رحمه الله: "لأن أدع الغِيبة أحبُّ إليَّ من أن يكون لي الدنيا منذ خُلقَتْ إلى أن تفنى فأجعلها في سبيل الله تعالى، ولأن أغضَّ بصري عمَّا حرَّم الله تعالى أحبُّ إليَّ من أن تكون لي الدنيا وما فيها فأجعلها في سبيل الله، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴾ [الحجرات: ١٢]، وتلا قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [النور: ٣٠]".

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ: (إِذَا أَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَبْدٍ خَيْرًا زَهَّدَهُ فِي الدُّنْيَا، وَفَقَّهَهُ فِي الدِّينِ، وَبَصَّرَهُ عُيُوبَهُ. قَالَ: ثُمَّ الْتَفَتَ الْفُضَيْلُ إِلَيْنَا، فَقَالَ: رُبَّمَا قَالَ الرَّجُلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ؛ فَأَخْشَى عَلَيْهِ النَّارَ. قِيلَ: وَكَيْفَ ذَاكَ؟! قَالَ: يُغْتَابُ بَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ، فَيُعْجِبُهُ، فَيَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهَا؛ إِنَّمَا هَذَا مَوْضِعُ أَنْ يَنْصَحَ لَهُ فِي نَفْسِهِ، وَيَقُولُ لَهُ: اتَّقِ اللهَ) (٣)

- وعن محمد بن سيرين أنه قال: (إن أكثر الناس خطايا أكثرهم ذكراً لخطايا الناس) (٤)

- وعن الشّعبيّ-رحمه الله-(أنّ العبّاس بن عبد المطّلب قال لابنه عبد الله: يا بنيّ، أرى أمير المؤمنين يدنيك، فاحفظ منّي خصالاً ثلاثاً: لا تغتب من له سرّ، ولا يسمعنّ منك كذباً، ولا تغتابنّ عنده أحداً) (١)

---

١ – (الإحياء: ٣/ ١٥٢).

٢ – (التوبيخ والتنبيه: رقم ١٦٩).

٣ – (المجالسة وجواهر العلم)، لمشهور بن حسن آل سلمان (٦/ ٨٦).

٤ – ((المجالسة وجواهر العلم))، لمشهور بن حسن آل سلمان (٦/ ٨٦).

- ومرَّ ابن سِيرين بقوم، فقام إليه رجل منهم فقال: أبا بكر، إنّا قد نِلْنا منك فحَلِّلنا؟ فقال: (إني لا أحِلّ لك ما حَرّم اللهّ عليك. فأمّا ما كان إليَّ فهو لكم) (٢) .

- وقال الحسن: (لا غيبة لثلاثة: فاسق مجاهر بالفسق، وذي بدعة، وإمام جائر).

- وعن يعلى بن عبيد قال: (كنا عند سفيان بن سعيد الثوري، فأتانا رجل يقال له: أبو عبد الله السلال، فقال لسفيان: يا أبا عبد الله! الحديث الذي روي أن الله تبارك وتعالى يبغض أهل بيت اللحميين أهم الذين يكثرون أكل اللحم؟ فقال سفيان: لا ولكنهم الذين يكثرون أكل لحوم الناس) (٣) .

- وقال بعض الحكماء: (عاب رجلٌ رجلاً عند بعض أهل العلم فقال له: قد استدللت على كثرة عيوبك بما تكثر من عيب الناس، لأن الطالب للعيوب إنما يطلبها بقدر ما فيه منها) (٤).

- وقال الأصمعي: (اغتاب رجلٌ رجلاً عند قتيبة بن مسلم فقال له قتيبة: أمسك أيها الرجل، فوالله لقد تلمظت بمضغةٍ طالما لفظها الكرام) (٥) .

---

١ – مكارم الأخلاق للخرائطي برقم (٢/ ٢٠٧).

٢ – ((المجالسة وجواهر العلم))، لمشهور بن حسن آل سلمان (٣/ ٥٤).

٣ – ((المجالسة وجواهر العلم))، لمشهور بن حسن آل سلمان (٤/ ٢٤ –٢٥).

٤ – ((المجالسة وجواهر العلم))، لمشهور بن حسن آل سلمان (٣/ ٥٤).

٥ – ((المجالسة وجواهر العلم))، لمشهور بن حسن آل سلمان (٥/ ٣٠٥).

الدرس الخامس

الذكر الحسن في الدنيا

الحمد لك يا ألله؛ جعلت الفردوس لعبادك المؤمنين نُزُلًا، فلك الحمد أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، الحمد لله الذي يسَّرها لنا، ويسَّر الأعمال الصالحة لنا، فلم يتخذ السالكون إلى الله سواها شغلًا، وسهَّل لهم سبلَها فلم يسلكوا سواها سبلًا، خلقها قبل أن يخلقهم، وأسكنهم إياها قبل أن يوجدهم، وحفَّها بالمكاره؛ ليبلوهم أيهم أحسن عملًا، وأودعها ما لا عين رأتْ، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وفوق ذلك: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ [الكهف:١٠٨].

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، شهادة أدَّخرها لي ولكم إلى يوم المصير، شهادة عبده وابن عبده وابن أَمَتِه، ومن لا غنى به طرفة عين عن رحمته وفضله ومنِّه وكرمه، ولا مطمع له في الفوز بالجنة والنجاة من النار إلا بمنِّه وكرمه ورحمته.

وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، ومحجة للسالكين، وحجة على العباد أجمعين، شرح الله به الصدور، وأنار به العقولَ، وفتح به أعينًا عميًا وآذانًا صمًّا وقلوبًا غلفًا.

قدْ كانَ هذا الكونُ قبلَ وُصولِه شُؤْمًا لظالِمِهِ وللمظلوم

لَمَّا أَطَلَّ محمدٌ زَكَتِ الرُّبا واخضرَّ في البُسْتانِ كلُّ هشيم

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

اعلم زادك الله علما : أن السيرة الحسنة و الأخلاق الطيبة و المعاملة الكريمة سبب من أسباب دخول الجنة لأنَّ الدين المعاملة ، فعلى الإنسان أن يسعى جاهداً في هذه الحياة الدنيا كي يكون حسن الأخلاق ، وحسن السيرة بين الناس ، لأنهم شهود عليه في الدنيا ، فإن شهدوا له بخير فهو على خير ، وإن شهدوا بغير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه ، عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّه عَنْه قال : مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَجَبَتْ ، ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا ، فَقَالَ وَجَبَتْ ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّه عَنْه : مَا وَجَبَتْ ؟ قَالَ : هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ " [١]

وأخرج الحاكم من حديث النضر بن أنس كنت قاعدا عند النبي فمر بجنازة فقال ما هذه الجنازة قالوا جنازة فلان الفلاني كان يحب الله ورسوله ويعمل بطاعة الله ويسعى فيها فقال وجبت وجبت وجبت ومر بجنازة أخرى فقال ما هذه الجنازة قالوا جنازة فلان الفلاني كان يبغض الله ورسوله ويعمل بمعصية الله ويسعى فيها فقال وجبت وجبت وجبت قالوا يا رسول الله قولك في الجنازة والثناء عليها أثني على الأول خير وعلى الآخر شر فقلت فيهما وجبت وجبت وجبت فقال نعم يا أبا بكر إن لله ملائكة ينطق على لسان بني آدم بما في المرء من الخير والشر وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه

يقول بدر الدين العيني – رحمه الله -وقال الداودي معنى هذا الحديث عند الفقهاء إذا أثنى عليه أهل الفضل والصدق لأن الفسقة قد يثنون على الفسقة فلا يدخلون في معنى هذا الحديث والمراد

[١] –أخرجه البخاري ح (١٣٠١)

والله أعلم إذا كان الثناء بالشر ممن ليس له بعدو لأنه قد يكون للرجل الصالح العدو وإذا مات عدوه فذكر عن ذلك الرجل الصالح شرا فلا يدخل الميت في معنى هذا الحديث لأن شهادته كانت لا تجوز عليه في الدنيا وإن كان عدلا للعداوة والبشر غير معصومين فإن قيل كيف يجوز ذكر شر الموتى مع ورود الحديث الصحيح عن زيد بن أرقم في النهي عن سب الموتى وذكرهم إلا بخير وأجيب بأن النهي عن سب الأموات غير المنافق والكافر والمجاهر بالفسق أو بالبدعة فإن هؤلاء لا يحرم وذكرهم بالشر للحذر من طريقهم ومن الإقتداء بهم وقيل لا بد أن يكون ثناؤهم مطابقا لأفعاله

وقال القرطبي يحتمل أن يكون النهي عن سب الموتى متأخرا عن هذا الحديث فيكون ناسخا وقيل حديث أنس المذكور يجري مجرى الغيبة في الأحياء فإن كان الرجل أغلب أحواله الخير وقد يكون منه الغلبة فالإغتياب له محرم وإن كان فاسقا معلنا فلا غيبة فيه فكذلك الميت فليس ذلك مما ينهي عنه من سب الأموات وقال بعضهم الثناء على عمومه لكل مسلم مات فإذا ألهم الله الناس أو معظمهم الثناء عليه كان ذلك دليلا أنه من أهل الجنة سواء كانت أفعاله تقتضي ذلك أم لا لأنه وإن لم تكن أفعاله مقتضية فلا تتحتم عليه العقوبة بل هو في المشيئة فإذا ألهم الله الناس الثناء عليه استدللنا بذلك أن الله تعالى قد شاء المغفرة له وبهذا تظهر فائدة الثناء في قوله وجبت وقيل هذا خاص بالمثنين المذكورين لغيب أطلع الله نبيه عليه ورد بأن كلمة من تستدعي العموم والتخصيص بلا مخصص لا يجوز قوله أنتم شهداء الله في الأرض الخطاب للصحابة رضي الله تعالى عنهم ولمن كان على صفتهم من الإيمان وحكى ابن التين أن ذلك مخصوص بالصحابة لأنهم كانوا ينطقون بالحكمة بخلاف من بعدهم ثم قال والصواب أن ذلك يختص بالثقات والمتقين وقال النووي الظاهر أن الذي أثنوا عليه شرا كان

من المنافقين قلت ويستأنس لما قاله بما رواه أحمد من حديث أبي قتادة بإسناد صحيح أنه لم يصل على الذي أثنوا عليه شرا وصلى على الآخر ([١])

عن أبي الأسود قال قدمت المدينة وقد وقع بها مرض فجلست إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمرت بهم جنازة فأثني على صاحبها خيرا فقال عمر رضي الله عنه وجبت ثم مر بأخرى فأثني على صاحبها خيرا فقال عمر رضي الله عنه وجبت. ثم مر بالثالثة فأثني على صاحبها شرا فقال وجبت . فقال أبو الأسود فقلت وما وجبت يا أمير المؤمنين؟ قال قلت كما قال النبي ﷺ أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة) . فقلنا وثلاثة قال (وثلاثة) . فقلنا واثنان قال (واثنان) . ثم لم نسأله عن الواحد ([2])

يقول المناوي – رحمه الله -قال النووي : من مات فألهم الله الناس بالثناء عليه بخير كان دليلا على كونه من أهل الجنة سواء اقتضته أفعاله أم لا فإن الأعمال داخلة تحت المشيئة وهذا الإلهام يستدل به على تعيينها وبه تظهر فائدة الثناء ([٣])

وذلك الثناء إنما يكون حقًا، وله اعتبارٌ ووزنٌ وأثرٌ في ميزان الشرع حين يُرفع بلسان الصدق الذي قام شاهدًا على صدق الفعال وحسن الحال، قال ابن القيم: "إن قلوب الصادقين لا تشهد بالزور ألبتة، فإذا أخفي عليك شأنك وحالك، فاسأل عنك قلوب الصادقين؛ فإنها تخبرك عن حالك ".

قال ابن حبان: " خير الثناء ما كان على أفواه الأخيار ".

---

[١] – عمدة القاري [جزء ٨ – صفحة ١٩٥]

٢ – أخرجه البخاري ح ١٣٠٢

[٣] – فيض القدير [جزء ٣ – صفحة ١٤٨]

وذلك الذكر الحسن عاجل بشرى للمؤمن عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ، قَالَ: تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ.) » (١).

وهو من إيتاء الله عبدَه أجره في الدنيا، كما فسَّر ابن عباس رضي الله عنهما قولَه تعالى عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

والذكر الحسن تركةٌ مباركة، وحياةُ خيرٍ تبقى للمرء وإن مات، يُذْكَر بجميل مآثره، ويستدعي الدعاءَ لصاحبه، بل يمتد خيره لوارثه؛ إذ هو من خير ما ورّث له. قال حكيم: " أفضل ما يورِّث الآباءُ الأبناءَ: الثناء الحسن، والأدب النافع، والإخوان الصالحون ".

كلُّ الأمورِ تزول عنك وتنقضِي إلا الثناءَ فإنه لك باقي

قال كعب الأحبار: «والله، ما استقر لعبد ثناءٌ في الأرض حتى يستقر له في أهل السماء ».

وذاك الثناء السماوي أثر من محبة الله للعبد بما قام به من حق العبودية

عَنْ نَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ، نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا، فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ».(٢)

١ – أخرجه ابن أبي شَيْبَة ٥٣/١١ (٣٠٤٤٩). و"أحمد" ١٥٦/٥ (٢١٧٠٨) و"مسلم" ٤٤/٨ (٦٨١٤)

٢ – أخرجه البخاريُّ (فتح ٦/ ٣٠٣) وهذا لفظه، ومسلم (٤/ ٢٠٣٠).

الدرس السادس

التجاوز عن المعسرين

الحمد لله الذي تفرَّد بأوصاف عظمته وكماله، وتقدَّس بعزِّ كبريائه وجلاله، وتوحَّد بالخلق والإبداع، فلا شريك له في أفعاله، وعمَّ كلَّ مخلوق جزيلُ أفضاله ونواله، هو الأول والآخر بالقدم والبقاء، الظاهر والباطن بالقهر والكبرياء، القدوس الصمد الغني عن جميع الأشياء، الواحد الأحد المنزه عن جميع والأشباه والشركاء، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمدًا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه.

ألا يا رسول الله يا خيرَ مُرسل عليك صلاة الله لا تتناهى

فيا فوزَ مَن صلى عليك من الورى صلاةً يعم الكون منها سَناها

عليك صلاة الله يا أشرفَ الورى مَحلًّا ويا أعلى البرية جاهَا

عليك صلاة الله ما هبَّت الصبا وفاح بعرف المسك طيبُ شذاها

وعلى آله وأصحابه، ومن سار على نهجه وتمسَّك بسُنته واقتدى بهديه واتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم يا أرحم الراحمين، ثم أما بعد:

أخي المسلم: من الضمانات التي لو عمل المسلم بها لنال الجنة و نعيمها و التجاوز عن الزلات و الظل يوم لا ظل إلا ظل رب الأرض و السماوات التجاوز عن المعسرين و التخفيف عنهم ، عن حذيفة عن النبي ﷺ : (أن رجلا مات فدخل الجنة فقيل له ما كنت تعمل " قال فأما ذكر وإما ذكر "

فقال إني كنت أبايع الناس فكنت أنظر المعسر وأتجوز في السكة أو في النقد فغفر له) ١) .

من حديث أبي قتادةَ عنِ النَّبيِّ ﷺ ، قال : ((من سرَّه أن يُنجيَه الله مِنْ كُرَب يومِ القيامة ، فلينفس عن مُعسرٍ ، أو يضعْ عنه)) (٢)
عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال :خرجت أنا وأبي نطلب العلم في هذا الحي من الأنصار قبل أن يهلكوا فكان أول من لقينا أبا اليسر صاحب رسول الله ﷺ ومعه غلام له معه ضمامة من صحف وعلى أبي اليسر بردة ومعافري وعلى غلامه بردة ومعافري فقال له أبي يا عم إني أرى في وجهك سفعة من غضب قال أجل كان لي على فلان بن فلان الحرامي مال فأتيت أهله فسلمت فقلت ثم هو ؟ قالوا لا فخرج علي ابن له جفر فقلت له أين أبوك ؟ قال سمع صوتك فدخل أريكة أمي فقلت اخرج إلي فقد علمت أين أنت فخرج فقلت ما حملك على أن اختبأت مني ؟ قال أنا والله أحدثك ثم لا أكذبك خشيت والله أن أحدثك فأكذبك وأن أعدك فأخلفك وكنت صاحب رسول الله ﷺ وكنت والله معسرا قال قلت آلله قال الله قلت آلله قال الله قلت آلله قال الله قال فأتى بصحيفته فمحاها بيده فقال إن وجدت قضاء فاقضني وإلا أنت في حل فأشهد بصر عيني هاتين (ووضع إصبعيه على عينيه) وسمع أذني هاتين ووعاه قلبي هذا (وأشار إلى مناط قلبه) رسول الله ﷺ وهو يقول من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله.(٣)

يقول المناوي – رحمه الله - (من أنظر معسرا) أي أمهل مديونا فقيرا من المنظرة قال الحرالي : وهي التأخير المرتقب نجازه (أو وضع عنه) أي حط

---

[١] – شرح صحيح مسلم للنووي ١٠ / ٤٨٣

[٢] أخرجه مسلم ح ١٥٦٣

[٣] – أخرجه مسلم ح ٣٠٠٦

عنه من دينه وفي رواية أبي نعيم أو وهب له أو وضع عنه (أظله الله في ظله) أي وقاه الله من حر يوم القيامة على سبيل الكناية أو أظله في ظل عرشه حقيقة أو أدخله الجنة (يوم لا ظل إلا ظله) أي ظل الله والمراد به ظل الجنة وإضافته لله إضافة ملك وجزم جمع بالأول فقالوا : المراد الكرامة والحماية من مكاره الموقف وإنما استحق المنظر ذلك لأنه آثر المديون على نفسه وأراحه فأراحه الله والجزاء من جنس العمل (١)

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺقال: (كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه ، إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا ، فلقي الله فتجاوز عنه)(٢)

روى أحمد وصححه الألباني عن بريدة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أنظر مُعسرًا فله بكل يوم مثله صدقة، قال: ثم سمعته يقول: من أنظر معسرًا فله بكل يوم مثليه صدقة، قلت: سمعتك يا رسول الله تقول: من أنظر معسرًا فله بكل يوم مثله صدقة، ثم سمعتك تقول: من أنظر معسرًا فله بكل يوم مثليه صدقة، قال له: بكل يوم صدقة قبل أن يحل الدين، فإذا حل الدين فأنظره فله بكل يوم مثليه صدقة(٣)

من نفس عن معسر نجاه الله من كرب يوم القيامة:

روى مسلم عن عبدالله بن أبي قتادة أن أبا قتادة طلب غريمًا له، فتوارى عنه ثم وجده، فقال: إني معسرٌ، فقال: آلله؟ قال: آلله، قال: فإني سمعت

١– فيض القدير [جزء ٦ – صفحة ٨٩]

٢ – أخرجه البخاري ح ١٩٧٢ شرح صحيح مسلم للنووي ١٠/ ٤٨٥

٣ – صحيح: رواه أحمد «٢٢٥٣٧» وصححه الألباني في صحيح الجامع «٦١٠٨».

رسول الله ﷺ يقول: من سره أن يُنجيه الله من كُرب يوم القيامة، فلينفِّس عن معسر أو يضع عنه. (١)

من تجاوز عن المعسر تجاوز الله عنه:

ففي الصحيحين عن حُذيفة رضي الله عنه أنه قال: قال النبي ﷺ : تلقت الملائكة رُوح رجل ممن كان قبلكم، قالوا: أعملت من الخير شيئًا؟ قال: كُنت آمر فتياني أن ينظروا ويتجاوزوا عن الموسر، قال: قال الله تعالى: فتجاوزوا عنه.(٢)

السماحة في البيع والشراء وقضاء الديون سبب لرحمة الله لك:

روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: رحم الله رجلًا سمحًا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى. (٣)

١ – صحيح: رواه مسلم «١٥٦٣».

٢ – متفق عليه: رواه البخاري «٢٠٧٧» ومسلم «١٥٦٠»

٣ – صحيح: رواه البخاري «٢٠٧٦».

الدرس السابع

الوصية الإبراهيمية

الحمد لله العليم الحكيم العزيز الغفار، القهَّار الذي لا تخفى معرفته على مَن نظر في بدائع مملكته بعين الاعتبار، القدُّوس الصمد التعالي عن مشابه الأغيار، الغني عن جميع الموجودات فلا تحويه الجهات والأقطار، الكبير الذي تحيَّرت العقول في وصف كبريائه، فلا تُحيط به الأفكار، الواحد الأحد المنفرد بالخلق والاختيار، الحي العليم الذي تساوى في علمه الجهر والإسرار، السميع البصير الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه.

إن الصلاة على المختار إن ذُكرت في مجلس فاح منه الطيبُ إذ نفحا

محمد أحمد المختار من مُضر أزكى الخلائق جمعًا أفصحُ الفصحا

صلى عليه إلهُ العرش ثم على أهليه والصَّحب نعمَ السادةُ النصحا

وعلى آله وأصحابه ومَن سار على نهجه، وتَمسَّك بسنته، واقتدى بهديه، واتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

وهذه شهادة ضمان يقدمها لبنا خليل الرحمن عليه أفضل الصلاة و السلام - و يرسل بها عم سيد ولد عدنان عليه الصلاة و أزكى السلام ، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها

قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر(١)

قوله (لقيت إبراهيم) أي الخليل عليه الصلاة والسلام ليلة أسرى بي قال القارىء بالإضافة وفي نسخة يعني من المشكاة بتنوين ليلة أي ليلة أسري فيها بي وهي ليلة المعراج (فقال) أي إبراهيم وهو في محله من السماء السابعة مسندا ظهره إلى البيت المعمور أقرئ أمر من الإقراء أو من قرأ يقرأ أمتك مني السلام أي بلغهم مني السلام طيبة التربة بضم الفوقية وسكون الراء هي التراب من قرابها المسك والزعفران ولا أطيب منهما عذبة الماء أي ماؤها طيب لا ملوحة فيه وأنها بالفتح ويكسر أي الجنة قيعان بكسر القاف جمع قاع وهي الأرض المستوية الخالية من الشجر وأن بالوجهين غراسها بكسر الغين المعجمة جمع غرس بالفتح وهو ما يغرس أي يستره تراب الأرض من نحو البذر لينبت بعد ذلك

وإذا كانت تلك التربة طيبة وماؤها عذبا كان الغراس أطيب لا سيما والغرس الكلمات الطيبات وهن الباقيات الصالحات والمعنى أعلمهم بأن هذه الكلمات ونحوها سبب لدخول قائلها الجنة ولكثرة أشجار منزلة فيها لأنه كلما كررها نبت له أشجار بعددها

وقال الطيبي في هذا الحديث إشكال لأنه يدل على أن أرض الجنة خالية عن الأشجار والقصور ويدل قوله تعالى جنات تجري من تحتها الأنهار على أنها غير خالية عنها لأنها إنما سميت جنة لأشجارها المتكاثفة المظلة بالتفاف أغصانها والجواب أنها كانت قيعانا ثم إن الله تعالى أوجد بفضله فيها أشجارا وقصورا بحسب أعمال العاملين لكل عامل ما يختص به بسبب عمله ثم إنه تعالى لما بسره لما خلق له من العمل لينال بذلك الثواب جعله

---

[١] – أخرجه الترمذي ح ٣٤٦٢ و قال الشيخ الألباني : (حسن) انظر حديث رقم : ٥١٥٢ في صحيح الجامع

كالغارس لتلك الأشجار مجازا إطلاقا للسبب على المسبب انتهى قال القارىء وأجيب أيضا بأنه لا دلالة في الحديث على الخلو الكلي من الأشجار والقصور لأن معنى كونها قيعانا أن أكثرها مغروس وما عداه منها أمكنة واسعة بلا غرس لينغرس بتلك الكلمات ويتميز غرسها الأصلي الذي بلا سبب وغرسها المسبب عن تلك الكلمات انتهى(١)

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ مر به وهو يغرس غرسا: فقال (يا أبا هريرة ما الذي تغرس ؟) قلت غراسا لي: قال (ألا أدلك على غراس خير لك من هذا ؟) قال بلى. يا رسول الله: قال (قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة) (٢)

عن جابر : عن النبي ﷺ قال من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة (٣)

"قال بعض العلماء: إن ملائكة موكلين ببناء دُور أهل الجنة يبنونها ويهيِّؤونها، البناء لبنٌ، لكنه ليس من الطين، لبنة ذهب ولبنة فضة، والملاط بينهما المسك، المادة التي تُجعل في الدنيا بين كل طوبة وأخرى في الدنيا، هي إما أن يكون الطين في القديم، أو الأسمنت في الحديث، ولكن في الجنة الطوب ذهب وفضة، والملاط الذي بينهما من مادة الطيب، ملاطها المسك، وهكذا الجنة تُزرع بهذه الأشجار بحسب ما يكون في الدنيا من عمل العبد.

---

١ – تحفة الأحوذي [جزء ٩ – صفحة ٣٠٢]

٢ – أخرجه ابن ماجه ح ٣٨٠٧ وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ح ٣٠٦٩

٣ – أخرجه الترمذي ح ٣٤٦٤ وابن حبان ح ٨٢٦ و الطبراني في الأوسط ح ٢٨٧ وأبو يعلى ح ٢٢٣٣ و البزار ح ٢٤٦٨ وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ح ٢٣٠٤

إن الملائكة تَبني دُور أهل الجنة بحسب ما يكون من الذكر والعمل الصالح لأهلها في الدنيا، فإذا ذكروا الله نَشِطوا في البناء، وإذا كَلَّ أهلُ العمل توقَّف الملائكة عن البناء، وهذا سرُّ تفاوُتِ أهل الجنة في منازلهم ودُورهم في جنات النعيم، إن بينهم من التفاوت كما يكون من رؤية الناس إلى الكوكب الدري والنجم الغابر في السماء، فيقال: هذا قصر فلان في أعالي الجنة؛ لأن الجنة مقببة، وأعلاها أشرفها وأفضلها، وبين الدرجة والأخرى كما بين السماء والأرض، أو كمسيرة مائة عام، والناس يتفاوتون في جنات النعيم.

ولذا فإن أهل الفردوس الأعلى - الذي سقفه عرش الرحمن جل وعلا - هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، هكذا بشَّر وأخبر نبي الرحمن وخليله إبراهيم، ونقل وبشَّر وحث خليل الرحمن ونبيه محمد عليه الصلاة والسلام، فليستقل كل امرئ أو ليستكثر، فهذا هو ميدان العمل، وهذا وقت الغراس، فقد أفلح وأنجح من عَرَشَ جنَّته وبناها، وقد خسِر مَن تَرَك هذا العمل؛ ليرجع بالكرَّة الخاسرة عياذًا بالله من ذلك: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر: ٣٨]. (١)

[١] – تحية ووصية من خليل الرحمن إبراهيم إلى الأمة المحمدية الشيخ د. خالد بن عبدالرحمن الشايع

الدرس الثامن

من سأل الله الجنة بصدق

الحمد لله الذي تفرَّد بجلال ملكوته، وتوحَّد بجمال جبروته، وتعزَّز بعُلو أَحَديَّته، وتقدَّس بسمو صمَديَّته، وتكبَّر في ذاته عن مضارعة كل نظير، وتنزَّه في صفائه عن كل تناهٍ وقصور، له الصفات المختصة بحقِّه، والآيات الناطقة بأنه غيرُ مُشبَّه بخلْقه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو علي كل شيء قدير، شهادة موقن بتوحيده، مستجير بحسن تأييده.

يا واحد في ملكه أنت الأحدُ ولقد علمتُ بأنك الفرد الصمد

لا أنت مولودٌ ولستَ بوالدٍ كلَّا ولا لك في الورى كُفوًا أَحَد

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه.

هذا النبي محمدٌ خير الورى ونبيُّهم وبه تشرَّف آدم

وله البها وله الحياءُ بوجهه كلُّ الغنى من نوره يتقسَّم

يا فوزَ مَن صلى عليه فإنه في جنة المأوى غدًا يتنعَّم

صلى عليه الله جلَّ جلالُه ما راح حادٍ باسمه يترنَّم

وعلى آله وأصحابه ومَن سار على نَهْجه، وتمسَّك بسنته واقتدى بهديه، واتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ونحن معهم يا أرحم الراحمين.

ومن الضمانات التي بينها سيد الكائنات ﷺوالتي لا تكلف العبد مشقة ولا عناء أن يصدق العبد في سؤاله لربه – عز وجل – فيسأله أن يدخله جنته و دار كرامته **عن** أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة اللهم أدخله الجنة ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار اللهم أجره من النار (١)

قوله (من سأل الله الجنة) بأن قال اللهم إني أسالك الجنة أو قال اللهم أدخلني الجنة (ثلاث مرات) أي كرره في مجالس أو مجلس بطريق الإلحاح على ما ثبت أنه من آداب الدعاء (قالت الجنة) ببيان الحال أو بلسان القال لقدرته تعالى على إنطاق الجمادات وهو الظاهر (اللهم أدخله الجنة) أي دخولا أوليا أو لحوقا آخريا (ومن استجار) أي استحفظ (من النار) بأن قال اللهم أجرني من النار (قالت النار اللهم أجره) أي احفظه أو أنقذه (من النار) أي من دخوله أو خلوده فيه(٢)
يقول المناوي - رحمه الله - (من سأل الله الجنة) أي دخولها بصدق وإيقان وحسن نية (ثلاث مرات قالت الجنة اللهم أدخله الجنة ومن استعاذ من النار ثلاث مرات قالت النار اللهم أجره من النار) وهذا القول يحتمل كونه بلسان القال بأن يخلق الله فيها الحياة والنطق وهو على كل شيء قدير أو بلسان الحال وتقديره قالت خزنة الجنة من قبيل قوله تعالى { واسأل القرية }

ويؤيده ذكر الجنة في قوله اللهم أدخله الجنة وإلا لقالت اللهم أدخله إياي ويحتمل كونه التفات من التكلم إلى الغيبة وكذا الكلام في قوله قالت النار وجاء في رواية ذكر العدد في الاستجارة من النار ثلاثا وحذفه في سؤال

---

[١]– أخرجه أحمد ح ١٣١٩٦و الترمذي ح ٢٥٧٢ والنسائي ح ٥٥٢١ وابن حبان ح ١٠٣٤ قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم : ٦٢٧٥ في صحيح الجامع

[٢] – تحفة الأحوذي [جزء ٧ – صفحة ٢٤٣]

الجنة وهو تنبيه على أن الرحمة تغلب الغضب وعلى أن عذابه شديد { إن الله شديد العقاب } فيكفي في طلب الجنة السؤال الواحد بخلاف الاستجارة من النار

قال السمهودي: لك أن تقول ما الحكمة في تخصيص الثلاث مع أن الحسن بن سفيان روى عن أبي هريرة مرفوعا ما سأل الله عز وجل عبد الجنة في يوم سبع مرات إلا قالت الجنة يا رب إن عبدك فلانا سألني فأدخله.

وفي رواية لأبي يعلى بإسناد على شرط الشيخين ما استجار عبد من النار سبع مرات إلا قالت النار يا رب إن عبدك فلانا استعاذ بك مني فأعذه وأدخله الجنة.

وفي رواية للطيالسي من قال أسأل الله الجنة سبعا قالت الجنة اللهم أدخله الجنة. وفي رواية له إن العبد إذا أكثر مسألة الله الجنة قالت الجنة يا رب إن عبدك هذا سألنيك فأسكنه إياي الحديث.

وأجيب بأنه خص الثلاث في هذا الحديث لأنها أول مراتب الكثرة والسبعة في غيرها لأنها أول مراتب النهاية في الكثرة لاشتمالها على أقل الجمع من الأفراد وأقل الجمع من الأزواج (١)

. النية سر العبودية وروحها: فهي من الأعمال بمنزلة الروح من الجسد؛ لأنها من أعمال القلوب، وأعمال القلوب أنفع وأنجع الأعمال يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنَّما الأعمالُ بالنِّيات)(متفق عليه)،

فهي ملاك الأعمال، وعليها يكون القبول والرد، والثواب والعقاب.

الإنسان يبلغ بنيته مالا يبلغ بعمله:

[1]– فيض القدير [جزء ٦ – صفحة ١٤٤]

فقد يعجز المرءُ عن عمل الخير الذي يصبو إليه لرقة حاله، أو ضعف صحته، أو قلةِ حيلته، لكن الله المطلع على خبايا النفوس يرفع أصحاب النوايا الصادقة إلى ما تمنوه، لأن طِيبَ مقصدهم أرجحُ لديه من عجز وسائلهم. فما أعظم النية! فإنك تستطيع بنيتك الصادقة وعمل قلبك الخالص أن تلحق بأجر المحسن العظيم، وإن لم يكن لديك مال تتصدق به، ففي حديث أبي كبشة الأنماري أن النبي ﷺقال: (إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ)(١)

وفي الحديث الصحيح يقول الرسول ﷺ: (منْ سَأَلَ اللهَ تَعَالَى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ)[رواه مسلم]، فكل من صدق الله صدقه الله جل في علاه.

على قدر النوايا تكون العطايا:

- نظافة قلبك، وسلامةُ صدرك، ونيتُك الصافية، هي مفتاح التيسير والمنح والفتوحات في هذه الحياة.

- ولا يغلق باب على العبد فيصدق في نيته ويحسن الظن بربه إلا ويفتح الله له أبوابا أوسع وأرحب يقول سبحانه: {إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ}[الأنفال: ٧٠].

- أصلح ما في قلبك؛ ينزل الله عليك السكينة، ويفتح لك الأبواب ويحميك، مهما ظهر الأمر بخلاف ذلك، يقول الحق سبحانه: {فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ

---

١ – أخرجه أحمد (٤/٢٣١، رقم ١٨٠٦٠) ، والترمذى (٤/٥٦٢، رقم ٢٣٢٥) وقال: حسن صحيح.

فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا}[الفتح:١٨، ١٩].

سر صلاحك في صلاح سرك، وباب جنتك في طهارة قلبك:

إن سرَّ صلاحِك يكمُن في إصلاحِ سرك، فضع نيةَ الخير في قلبك وسيتولى الله أمرَك، وكم من أبواب عظيمة فُتِحَت بمفتاح النية الطيبة، وكم من شخصٍ رُزِق بنيته الطيبة أكثرَ مما يتوقع، وعلى قدر نياتكم ترزقون.

لوْ يَعْلَمُ المَرْءُ عَنْ تَدْبِيْرِ خَالِقِهِ لَه لَمَا نَاحَ حُزْناً أَوْ شَكَا أَلَمَا

خَرْقُ السَّفِيْنَةِ كَانَ الشَّرُّ ظَاهِرَهُ وَالخَيْرُ فِيْهِ فَسُبْحَانَ الَّذِي حَكَمَا

الدرس التاسع

رجاء رحمة الرحمن وحسن الظن به

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، أظهَر الحق بالحق وأخزى الأحزاب، وأتم نوره، وجعل كيد الكافرين في تباب، أرسَل الرياح بشرى بين يدي رحمته، وأجرى بفضله السحاب، وأنزل من السماء ماءً، فمنه شجر ومنه شراب، جعل الليل والنهار خلفة فتذكَّر أولو الألباب، نحمده تبارك وتعالى على المسببات والأسباب، ونعوذ بنور وجهه الكريم من المؤاخذة والعتاب، ونسأله السلامة من العذاب وسوء الحساب.

وأشهد أنْ لا إله إلا الله العزيز الوهاب، الملك فوق كل الملوك، ورب الأرباب، الحكم العدل، يوم يُكشف عن ساق وتوضَع الأنساب، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، خلَق الناس من آدم، وخلَق آدم من ترابٍ، خلق الموت والحياة ليبلونا وإليه المآب، فمن عمِل صالحًا فلنفسه، والله عنده حسن الثواب، ومن أساء فعليها وما متاع الدنيا إلا سراب.

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المستغفر التواب، المعصوم صلى الله عليه وسلم في الشيبة والشباب، خلقه الكتاب ورأيه الصواب، وقوله فصلُ الخطاب، قدوة الأمم وقِمة الهمم، ودُرة المقرَّبين والأحباب، عُرضت عليه الدنيا بكنوزها، فكان بلاغه منها كزاد الرُّكاب، ركب البعير ونام على الحصير، وخصف نعله، ورتَق الثياب، أضاء الدنيا بسنته، وأنقذ الأمة بشفاعته، وملأ للمؤمنين براحته من حوضه الأكواب، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى الآل والأصحاب ما هبَّت الرياح بالبشرى، وجرى بالخير السحاب، وكلما نبت من الأرض زرعٌ أو أينَع ثمرٌ وطاب.

اعلم علمني الله وإياك: أن من موجبات الجنة أن يكون العبد حسن الظن بالله تعالى، فمن حسن ظنه بربه فقد بلغ مبلغا عظيما في القرب منه-

سبحانه وتعالى - إذ حسن الظن هو الدافع إلى خشية الله و العمل بما أمر و الانتهاء عما نهى عنه وزجر ، لذا حثنا رسولنا الكريم إلى أن نحسن الظن بالله حتى حال الموت

فحسن الظن فيه النجاة والفوز بالجنان ورضا الرحمن عن جابر قال: سمعت النبي ﷺسلم قبل وفاته بثلاث يقول لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن (١)

وإذا كان العبد حسن الظن بربه فقد نال المنى فالله أخبر أنه بعظمته عند ظن عبده به إن خيرا فخير و إن شرا فشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ (يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة) (٢)

يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - قوله يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي أي قادر على أن اعمل به ما ظن أني عامل به

وقال الكرماني وفي السياق إشارة إلى ترجيح جانب الرجاء على الخوف وكأنه أخذه من جهة التسوية فان العاقل إذا سمع ذلك لا يعدل إلى ظن إيقاع الوعيد وهو جانب الخوف لأنه لا يختاره لنفسه بل يعدل إلى ظن وقوع الوعد وهو جانب الرجاء وهو كما قال أهل التحقيق مقيد بالمحتضر ويؤيد ذلك حديث لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله وهو عند مسلم من حديث جابر وأما قبل ذلك ففي الأول أقوال ثالثها الاعتدال وقال

---

[١] – اخرجه مسلم ح ٢٨٧٧

[٢] – أخرجه البخاري ح ٦٩٧٠ و مسلم ح2675

بن أبي جمرة المراد بالظن هنا العلم وهو كقوله وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه

وقال القرطبي في المفهم قيل معنى ظن عبدي بي ظن الإجابة عند الدعاء وظن القبول عند التوبة وظن المغفرة عند الاستغفار وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسكا بصادق وعده قال ويؤيده قوله في الحديث الآخر ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة

قال ولذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقنا بأن الله يقبله ويغفر له لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها وأنها لا تنفعه فهذا هو اليأس من رحمة الله وهو من الكبائر ومن مات على ذلك وكل إلى ما ظن كما في بعض طرق الحديث المذكور "فليظن بي عبدي ما شاء"

قال وأما ظن المغفرة مع الإصرار فذلك محض الجهل والغرة وهو يجر إلى مذهب المرجئة قوله وأنا معه إذا ذكرني أي بعلمي وهو كقوله إنني معكما أسمع وأرى و المعية المذكورة أخص من المعية التي في قوله تعالى ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]

وقال بن أبي جمرة: معناه فانا معه حسب ما قصد من ذكره لي قال ثم يحتمل أن يكون الذكر باللسان فقط أو بالقلب فقط أو بهما أو بامتثال الأمر واجتناب النهي قال والذي يدل عليه الإخبار أن الذكر على نوعين:

أحدهما: مقطوع لصاحبه بما تضمنه هذا الخبر.

والثاني: على خطر قال والأول يستفاد من قوله تعالى ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧]

والثاني: من الحديث الذي فيه " من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا " (١) .

لكن أن كان في حال المعصية يذكر الله بخوف ووجل مما هو فيه فإنه يرجى له قوله فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي أي أن ذكرني بالتنزيه والتقديس سرا ذكرته بالثواب والرحمة سرا (٢)

واعلم علمني الله وإياك: أنه ينبغي للعبد طالب المغفرة و القرب منه - سبحانه و تعالى أن يحسن ظنه بخالقه لعدة أمور مهنا :

أولا: لأن فيه امتثالا واستجابة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم " يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ " [الأنفال : ٢٤]

ثانيا :. له ارتباط وثيق بنواحي عقدية متعددة ومن ذلك مثلا :

أ : التوكل على الله تعالى والثقة به ، قال بن القيم رحمه الله : " الدرجة الخامسة [أي من درجات التوكل] حسن الظن بالله عز وجل فعلى قدر حسن ظنك بربك ورجائك له يكون توكلك عليه " (٣).

ب : الاستعانة بالله والاعتصام به واللجوء إليه سبحانه ، قال بعض الصالحين " استعمل في كل بلية تطرقك حسن الظن بالله عز وجل في

---

[١] – الطبراني ١١/ ٥٤ (١١٠٢٥). قال الهيثمي ٢/ ٢٥٨ : وفيه: ليث بن أبي سليم، وهو ثقة؛ لكنه مدلس. وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٢).

[٢] – فتح الباري – ابن حجر [جزء ١٣ – صفحة ٣٨٥]

[٣]– تهذيب مدارج السالكين ص ٢٤٠

كشفها ؛ فإن ذلك أقرب إلى الفرج "
ج : الخوف منه سبحانه وتعالى ، يقول أبو سليمان الداراني رحمه الله " من حَسُنَ ظنه بالله عز وجل ثم لا يخاف الله فهو مخدوع "(١)

ثالثا : لأن العبد من خلاله يرجوا رحمة الله ورجائه ويخاف غضبه وعقابه ، يقول بن القيم رحمه الله "ويكون الراجي دائماً راغباً راهباً مؤملاً لفضل ربه حسن الظن به "

رابعا : حثت عليه النصوص النبوية ودعا إليه النبي ﷺ " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل " " أنا عند ظن عبدي بي " " من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه "

خامسا : معرفة واقع الناس وحالهم مع حسن الظن بالله ، يقول بن القيم رحمه الله " فأكثر الخلق بل كلهم إلا من شاء الله يظنون بالله غير الحق ظن السوء ؛ فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق ، ناقص الحظ ، وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله ، ولسان حاله يقول : ظلمني ربي ومنعني ما أستحق ، ونفسه تشهد عليه لذلك ، وهو بلسانه ينكره ولا يتجاسر على التصريح به ومن فتش نفسه وتغلغل في معرفة دفائنها وطواياها ، رأى ذلك فيها كامناً كمون النار في الزناد ، فاقدح زناد من شئت ينبئك شَراره عما في زناده ، ولو فتشت من فتشته ، لرأيت عنده تعتباً على القدر وملامة له ، واقتراحاً عليه خلاف ما جرى به ، وأنه ينبغي أن يكون كذا وكذا ، فمستقل ومستكثر ، وفتش نفسك هل أنت سالم من ذلك :

فإن تنجُ منها تنجُ من ذي عظيمة و إلا فإني لا إخالك ناجياً " (٢

سادسا : لأن مَنْ أحسن الظن بربه عز وجل فأيقن صدق وعده وتمام أمره وما أخبر به من نصرة الدين والتمكين في الأرض للمؤمنين ، اجتهد في

١- [حسن الظن بالله ص ٤٠]

٢-) [زاد المعاد ٣ / ٢٣٥]

العمل لهذا الدين العظيم والدعوة إلى الله والجهاد في سبيله بماله ونفسه .
سابعا : أثره الإيجابي على نفس المؤمن في حياته وبعد مماته ، فمن أحسن الظن بربه وتوكل عليه حق توكله جعل الله له في كل أمره يسراً ومن كل كرب فرجاً ومخرجاً ، فاطمأن قلبه وانشرحت ونفسه وغمرته السعادة والرضا بقضاء الله وقدره وخضوعه لربه جلا وعلا .

ثامنا: المبادرة إلى طلب عفو الله ورحمته ورجائه ومغفرته ليطرق بعد ذلك العبد باب ربه منطرحاً بين يديه راجياً مغفرته تائبا من معصيته " إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها " (١).

تاسعا : يعين على التدبر والتفكر في أسماء الله وصفاته وما تقتضيه من معاني العبودية والإخلاص ، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى " والأسماء الحسنى ، والصفات العلى مقتضية لآثارها من العبودية والأمر اقتضاءها لآثارها من الخلق والتكوين ؛ فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها ، أعني من موجبات العلم بها ، والتحقق بمعرفتها وهذا مطّرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح "(٢)

[١]– رواه مسلم

[٢] – [مفتاح دار السعادة ص ٤٢٤]

الدرس العاشر

الخوف من الله

الحمد لله المجيب لكل سائل، التائب على العباد، فليس بينه وبين العباد حائل، جعَل ما على الأرض زينة لها، وكل نعيم لا محالةَ زائلُ، حذَّر الناس من الشيطان وللشيطان منافذُ وحبائل، فمن أسلم وجهه لله، فذاك الكيِّسُ العاقل، ومن استسلم لهواه فذاك الضال الغافل، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تنزَّه عن الشريك وعن الشبيه وعن المشاكل، من للعباد غيره؟ ومن يدبِّر الأمر؟ ومن يَعدِل المائل؟ من يشفي المريض؟ من يرعى الجنين في بطن الحوامل؟ من يجيب المضطر إذا دعاه؟ ومن استعصت على قدرته المسائل؟ من لنا إذا انقضى الشباب وتقطعت بنا الأسباب والوسائل؟

ونصلي ونسلِّم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

اعلم علمني الله وإياك أن الخوف هو سوط تساق به النفوس إلى ربها فتعمل بطاعته و السعي في محبته ، والبعد عن نواهيه وهو يدعو صاحبه إلى ترك المعاصي المودية إلى ما يخاف منه وهو غضب الله وعذابه . فإذا فارق الخوف القلب خرب .

قال إبراهيم بن سفيان: إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواطن الشهوات وطرد الدنيا عنها

وهيا لنرى ثواب الخائفين وجزائهم عند رب العالمين "

أولا :- إن الجنة مأوى الخائفين يقول ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١]

يقول ابن كثير رحمه الله " إلى خاف القيام بين يدي الله عز وجل وخاف حكم الله فيه ونهى نفسه عن هواها إلي طاعة مولاه ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ أي متقلبة ومصيره ومرجعه إلى الجنة الفيحاء " [١]

بل إن الله ضاعف له الجزاء وأكرم له المثوبة فاعد له من الجنة جنتان وفضلهما عن غيرهما بأمور كثيرة يقول سبحانه وتعالى﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦-٥١]

فهاتين الجنتين تفضلان غيرهما بفضائل ومميزات أعد الله تلك الفضائل لمن خاف مقام ربه عز وجل بل إن الجزاء أعظم وأكبر أن يَ:ُ:عده عَاد يقول سبحانه ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦-١٧]

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : عن رسول الله ﷺ قال : قال الله تعالى " أعدت لعبادي الصالحين ما لا عبن رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر " قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم { فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ } [٢]

وها هم يسرحون في الجنة حيث شاؤا ويتسامرون ويتذكرون أحوالهم وما كان من خوفهم من ربهم يقول سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا

---

[١]– تفسير ابن كثير ج ٤ص ٤٦٩

[٢]– أخرجه البخاري ح ٣٠٧٢ ومسلم ح ١٨٩

وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٣) ✷ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (٢٤) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ [الطور: ١٧-٢٨]

فيا له من مشهد ما أروعه وما أجمله ها هم أهل الخوف من الله في الجنة يتحادثون ويتسامرون ويفض كل واحد منهم لأخيه بما في خاطرة فتذكروا أحوالهم التي كانوا عليها في الدنيا من خشية ورهبة ووجل وخوف من الله تعالى ثم شكروا نعمة الله عليهم في الجنة بما من عليهم من الجزاء العظيم والوقاية من النار ومن سمومها " لو رأيتهم بين ساجد وراكع ، وذليل مخمول متواضع ومنكسر الطرف من الخوف خاشع ، فإذا جن الليل جن الجازع { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ }

نفوسهم بالمحبة علقت ، وقلوبهم بالأشواق فلقت ، وابدأنهم للخدمة خلقت ، يقومون إذ انطبقت أجفان الهاجع { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ } يبادرون بالعمل الأجل ، ويجتهدون في سد الخلل ويعتذرون من ماضي الزلل ، والدمع لهم شافع { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ } سبق والله القوم ، بكثرة الصلاة والصوم ، فإذا اقبل الليل حاربوا النوم والعزم في الطوالع { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ } ينادى منادى تائبهم : لا أعود ، والمنعم ينعم بالقبول ويجود ، هم والله من السكون المقصود ، فما حيلة المطرود والمعطى مانع { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ } كن يا هذا رفيقهم ، ولج وان شق مضيقهم ، واسلك ولو يوما طريقهم ، فالطريق واسع

{ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ } اهجر بالنهار طيب الطعام ، ودع في الدجى لذيذ المنام ، وقل لأغراض النفس : سلام ، والله يدعو إلى دار السلام ، فما يقعد السامع { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ } يا من يرجو مقام الصالحين وهو مقيم مع الغافلين ، و يأمل منازل المقربين وهو ينزل مع المذنبين ، دع هذا الواقع ، الصدق الصدق فيه تسلم ، الجد الجد فيه تغنم البدار البدار قبل أن تندم هذا هو الدواء النافع { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ } [١]

ثانيا : أن تكون في ظل عرش الرحمن : فان الخائف ، دائم الدمعة لا قرار له إلا في دار القرار فان غزارة الدمع تطفئ حرارة الشهوات وتكف المرء عن معصية ربه ، لذا كان جزاؤه أن يكون في ظل عرش الرحمن قال النبي ﷺ سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله " وذكر منها " ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه "[٢]

ثالثا : - ومن فوائد الخوف والوجل والخشية الأمان من عذاب الله عن ابن عباس رضي الله عنهما " قال سمعت النبي ﷺ " عينان لا تمسهما النار – عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله " [٣]

يقول المناوي - رحمه الله - (عينان لا تمسهما النار أبدا عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله) قال الطيبي : قوله عين بكت إلخ كناية عن العالم العابد المجاهد مع نفسه لقوله تعالى { إنما يخشى الله من عباده العلماء } حيث حصر الخشية فيهم غير متجاوزة عنهم فحملت

---

[١] – التبصرة ص ٦٥٦– ٦٥٧

[٢] –أخرجه البخاري ح ٦٢٩

[٣] –أخرجه الترمذي ح ١٦٣٩ واحمد ح ١٧٢٥٢ و قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم : ٤١١٣ في صحيح الجامع

النسبة بين العينين عين مجاهدة مع النفس والشيطان وعين مجاهدة مع الكفار والخوف والخشية مترادفان(١)

إن عينا ذرفت الدمع خشية من الله ، لهى ناجية ولو كان هذا الدمع طفرة ثم ولت ، أو مره في العام ثم أدبرت . قال سفيان الثوري رحمه الله " البكاء عشرة أجزاء فواحد منها لله والتسعة كلها رياء ، فإذا جاء ذلك الجزء الذي لله تعالى في السنة مرة واحدة ، نجا صاحبه من النار إن شاء الله

رابعا :- ومن فوائد الخوف من الله تعالى أن الله لا يبقي في النار أحد ممن خافه في يوم من الأيام

فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ" فيما يروى عن ربه عز وجل أنه قال " وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين إذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة ، وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة " (٢)

فالعاقل من خشي ربه في السر والعلن وخافه في الدنيا حتى يؤمنه في الآخرة ويفر إليه في دار المفر حتى يسكنه غداً دار المستقر ويكون حاله في خوفه ووجله كما وصف الله عباده بقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ (المؤمنون ٥٧ : ٦١) فهم يصلون ويصومون ويزكون ويحجون ولكنهم قد ملأ الخوف قلوبهم فهم خائفون ألا يتقبل الله منهم

---

١ – فيض القدير ج ٤ ص ٣٦٨

٢ – حديث حسن رواه ابن حبان في صححه برقم ٢٤٩٤ وصححه الألباني في الصحيحة ح ٢٦٦٦

الدرس الحادي عشر

الرباط في سبيل الله

الحمد لله الذي عز جلاله فلا تدركه الإفهام، وسما كماله فلا يحيط به الأوهام، وشهدت أفعاله أنه الحكيم العلام، الموصوف بالعلم والقدرة والكلام، سبحانه هو الله الواحد السلام، المؤمنون حبب إليهم الإيمان وشرح صدورهم للإسلام، ويقبل التوبة ويكشف الحوبة ويغفر الإجرام، تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام

وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو علي كل شيء قدير شهادة من قال ربى الله ثم استقام

الله ربى لا أريد سواه هل في الوجود حقيقة إلا هو

يا من وجب الكمال بذاته فالكل غاية فوزهم لقياه عجز الأنام عن امتداحك انه تتصاغر الأفكار دون مداه

من كان يعرف انك الحق الذي بهر العقول فحسبه وكفاه

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

لم يزل صلى عليه الله وسلم يقاتل في الله بعزم واهتمام، حتى انقشع عن سماء الحق تراكم الغمام، وظل في أفق الإيمان بدر التمام

إذا أردت أن تفوز وترتقي درج العلى أو تنال منه رضاه

أدم الصلاة على محمد الذي لولاه ما فتح المكبر فاه

وله الوسيلة واللواء وكوثر يروى الورى وكذا يكون الجاه

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

اعلموا بارك الله فيكم أن من فضائل الأعمال التي ينال بها العبد الأجر العظيم والقرب من خالقه-سبحانه وتعالى -الرباط في سبيل الله

عن سلمان قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن الفتان(١)

عن سلمان رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ رباط يوم في سبيل الله أفضل من صيام شهر و قيامه و من مات فيه وقي فتنة القبر و نما له عمله إلى يوم القيامة(٢)

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها(٣)

يقول بدر الدين العيني - رحمه الله - قلت الرباط هي المرابطة وهي ملازمة ثغر العدو وقال ابن قتيبة أصل الرباط والمرابطة أن يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم في الثغر كل يعد لصاحبه وقال ابن التين بشرط أن

١- رواه مسلم ح ١٩١٣

٢ – رواه الترمذي وقال الشيخ الألباني صحيح انظر صحيح الجامع رقم ٣٤٨

٣ – صحيح البخاري [جزء ٣ – صفحة ١٠٥٩ ح ٢٧٣٥

يكون غير الوطن قاله ابن حبيب عن مالك وفيه نظر لأنه قد يكون وطنه ينوي بالإقامة فيه دفع العدو ويقال الرباط المرابطة في نحو العدو وحفظ ثغور الإسلام وصيانتها عن دخول الأعداء إلى حوزة بلاد المسلمين وقول الله تعالى﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]إلى آخر الآية ،وقوله مجرور عطفا على قوله فضل رباط وتمام الآية {صَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (آل عمران ٠٢)

قال زيد بن أسلم اصبروا على الجهاد وصابروا العدو ورابطوا الخيل على العدو وعن الحسن وقتادة اصبروا على طاعة الله وصابروا أعداء الله ورابطوا في سبيل الله وعن الحسن أيضا اصبروا على المصائب وصابروا على الصلوات الخمس ٠

أولا: رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها:

روى البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن ﷺ قال: {رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها }(١)

ثانيا :رباط يوم وليلة خير من صيام و قيا شهر ورباط شهر خير من صيام الهر وهو كذلك يعد ويفض الصوم فيوم يقوم فيه المسلم على ثغر من الثغور خير من صيام وقيام شهر ٠روى مسلم عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمل وأجري عليه رزقه وأمن الفتان }(٢)

---

[١] –أخرجه البخاري ح (٢٧٣٥)

[٢]– أخرجه مسلم ح ١٩١٣

يقول الإمام النووي - رحمه الله - رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله) هذه فضيلة ظاهرة للمرابط وجريان عمله عليه بعد موته فضيلة مختصة به لا يشاركه فيها أحد وقد جاء صريحا في غير مسلم كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فانه ينمى له عمله إلى يوم القيامة قوله ﷺ (وأجرى عليه رزقه) موافق لقول الله تعالى فى الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون والأحاديث السابقة أن أرواح الشهداء تأكل من ثمار الجنة قوله صلى الله عليه وسلم (أمن الفتان) ضبطوا أمن بوجهين أحدهما أمن بفتح الهمزة وكسر الميم من غير واو والثاني أو من بضم الهمزة وبواو وأما الفتان فقال القاضي رواية الاكثرين بضم الفاء جمع فاتن قال ورواية الطبري بالفتح وفى رواية أبى داود في سننه أومن من فتاني القبر(١)

عن أبي صالح مولى عثمان قال: سمعت عثمان وهو على المنبر يقول إني كتمتكم حديثا سمعته من رسول الله ﷺ كراهية تفرقكم عني ثم بدا لي أن أحدثكموه ليختار امرؤ لنفسه ما بدا له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل (٢)

ثالثا :كل ميت ينقطع عمله إلا من مات مرابطا فانه يجري عليه اجر عمله الصالح إلى يوم القيامة وعمل المرابط إذا مات فيه فان الله تعالى يجري ثواب ذلك العمل إلى يوم يلقاه فيكتب له ثواب ذلك العمل وان كان فارق الحياة وذلك لان رباطه كان سببا من أسباب الأمن الذي تعيش فيه الأمة و

[١]– شرح النووي على مسلم ج ١٣ ص ٦١

[٢]–أخرجه أحمد ح ٤٤٢ سنن الترمذي ج ٤ – ص ١٨٩ح ١٦٦٧ والنسائي ح ٣١٦٩وابن حبان في صحيحه ح ٤٦٠٩والطيالسي ح ٨٧وقال الالباني في صحيح الترغيب : حسن لغيره ح ١٢٢٤و شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن رجاله ثقات رجال الصحيح غير أبي صالح مولى عثمان

بسبب ذلك الأمن عبد العباد الله تعالى و أعلنت شعائره في كل مكان فكان جزائه أن يجري الله عليه عمله إلى يوم القيامة، والله اعلم

روى أبو داود والترمذي والحاكم عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :{كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر }(١).

عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله ﷺيقول : كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه يجرى له أجر عمله حتى يبعث(٢)

رابعا :أن الله يؤمنه من الفزع الأكبر يوم القيامة

ومن ثواب المرابط إذا توفاه الله وهو على تلك الحال أن الله تعلى يؤمنه حيث يخاف و يفزع الناس يوم الفزع الأكبر ، يوم ترى الناس سكارى وما هم بسكارى و لكن عذاب الله شديد

روى ابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال :{ من مات مرابطا في سبيل الله أجري عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمل وأجري عليه رزقه وأمن من الفتان وبعثه الله يوم القيامة آمنا من الفزع الأكبر}.(٣)

خامسا: إذا مات المرابط في رباطه بعثه الله يوم القيامة شهيدا.

روى ابن ماجة وعبد الرزاق عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:{من مات مرابطا مات شهيدا ووقي فتان القبر وغدي عليه وريح برزقه من الجنة و جرى له عمله }.

---

[١]– رواه الترمذي ح ١٦٢١ والطبراني في الكبير ح ٦٤١ و والطبراني في مسند الشاميين ح ١١٥٨و قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٤٥٣٩ في صحيح الجامع

[٢] – أخرجه احمد حنبل جزء ٤ – ص١٥٠ و والطبراني في الكبير ح٨٤٨و الترمذي ح ١٦٢١ وأبو داود ح ٢٥٠٠ و قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٤٥٦٢ في صحيح الجامع

[٣] – أخرجه ابن ماجة ح ٢٧٦٧ وأحمد ح ٩٢٣٣ و قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٣٤٧٩ في صحيح الجامع

سادسا :أن اليوم في الرباط يعد ألف يوم فيما سواه

ومن العطايا الربانية للمرابطين في سبيله أن جعل لهم اليوم يعد ألف يوم فيما سواه

روى الترمذي والنسائي وابن أبي شيبة عن عثمان بن عثمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :{رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل}.(١)

وهذا يشمل كل المنازل حتى لو كانت مكة المكرمة أو المدينة المنورة أو بيت المقدس على فضلها جميعا.

وتأملوا أيها الأحباب إلى أحوال أولي الألباب كيف ترك أصحاب النبي ﷺ مكة المكرمة والمدينة المنورة وتوجهوا إلى أرض الرباط في الشام ومن ورائهم سار التابعون إلى أن ماتوا شهداء ومرابطين في بلاد الشام فقد توجه الحارث بن هشام رضي الله عنه إلى الشام ورابط وجاهد في سبيل الله إلى أن لقي الله شهيدا في معركة اليرموك.

وقد نقل الإمام ابن تيمية رحمه الله إجماع العلماء على أن إقامة الرجل بأرض الرباط مرابطا أفضل من إقامته بمكة والمدينة وبيت المقدس .

وسئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أيهما أحب إليك الإقامة بمكة أم الرباط في الثغور ؟ فقال : الرباط أحب إلي.

وقال الإمام أحمد أيضا رحمه الله : ليس عندنا شيء من الأعمال الصالحة يعدل الجهاد والغزو والربا، بل جاء عنه ﷺأن اليوم في الرباط يعدل ألف عام فيما سواه ع ن أبي صالح مولى عثمان قال سمعت عثمان على المنبر وهو يقول : إني كنت كتمتكم حديثا سمعته من رسول الله ﷺ كراهية تفرقكم عني ثم بدا لي أن أحدثكموه ليختار امرؤ لنفسه ما بدا له أني

---

١ – أخرجه أحمد ح ٤٧٠ والترمذي ح ١٦٦٧ والنسائي ح ٣١٦٩وحسنه الالبني في صحيح الترغيب ح ١٢٢٤

سمعت رسول الله ﷺيقول رباط يوم في سبيل الله خير من ألف عام فيما سواه من المنازل (١)

[١] – أخرجه الدارمي في سننه ح ٢٤٢٤و قال محققه حسين سليم أسد : إسناده جيد

الدرس الثاني عشر

موانع البركة

الحمد لله رب العالمين سبحانه سبحانه سبحان الذي في السماء عرشه، سبحان الذي في الأرض حكمه، سبحان الذي في القبر قضائه، سبحان الذي في البحر سبيله، سبحانه في النار سلطانه، سبحان الذي في الجنة رحمته، سبحان الذي في القيامة عدله

وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة من قال ربى الله ثم استقام تقرب لعباده برأفته ورحمته، ونور قلوب عباده بهدايته،

سبحان من ملأ الوجود أدلة ليلوح ما اخفى بما أبداه

سبحان من ظهر الجميع بنوره فيه يرى أشياء من صفاه

سبحان من أحيا قلوب عباده بلوائح من فيض نور هداه

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

والله ما في الخلق مثل محمد في الفضل والجود والأخلاق

فهو النبي الهاشمي المصطفى من خيرة الأنساب من عدنان

لو حاول الشعراء وصف محمد وأتو بأشعار من الأوزان

ماذا يقول الواصفون لأحمد بعد الذي جاء في القرآن

وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

أخي المسلم: إن من الظواهر التي لحظها أغلب الناس اليوم واتفقت فيها كلمة أكثرهم حتى لا يكاد يختلف فيها اثنان قلّة البركة في الأموال والأولاد، وعدم الانتفاع بالأرزاق والأبناء، حتى إن الرجل ليكون مرتّبه عاليًا ودخله جيدًا وأبناؤه عُصْبَة من الرجال الأقوياء الأشداء ثم تراه يقترض ويستدين، ويعيش في بيته وحيدًا أو مع زوجه العجوز لا أحد من أبنائه يحدب عليه أو يلتفت إليه. ولربما دخل كثير من الناس السوق وجيبه مليء بالمال، فلا يخرج إلا وهو صفر اليدين أو قد تحمَّل شيئًا من الدَّين، وعندما ينظر فيما أتى به من أغراض وحاجات لأهله لا يجد إلا أشياء كمالية صغيرة، يحملها بين يديه بلا عناء، ولا تساوي ما أنفق فيها من مال.

وإن هذا الأمر ليس قضية عارضة أو مسألة هينة، بل هو في الواقع يشكل ظاهرة ملموسة وقضية محسوسه، ويعد منحنى خطيرًا في حياة المجتمع المسلم، يجب على كل فرد أن يدرسه ويتعرف أسبابه، ويبحث عن حله الناجح وعلاجه الناجع، فيأخذ به ويقي نفسه، لعل الله أن ينجيه مما ابتلي به غيره من الناس، أو مما قد يكون هو نفسه مبتلى به._أيها المسلمون، إننا يجب أن نعلّق أنفسنا بهذا الدين العظيم الذي ندين الله عز وجل به في كل أمورنا، يجب أن نرتبط به في جميع مناحي حياتنا، وأن ندرس تحت مظلته قضايانا، ونحل به مشكلاتنا، وأن نعلم أننا مهما تمسكنا به وعضضنا عليه بالنواجِذ فلن نضل ولن نشقى بتوفيق الله، وأننا بقدر ما نبتعد عنه أو ننحرف عن صراطه المستقيم أو نتخلّى عن تعاليمه السمحة المباركة أو نتهاون بها فإننا نهوي إلى مكان مُوحِش سَحِيق، ونلقي بأنفسنا في مجاهل من المستقبل المتردّي الذي لا يعلم ما يكون عليه إلا الله

فما هي الأسباب الماحقة المانعة للبركة:

اعلم علمني الله وإياك: أن هناك جملة من الأسباب الممحقة للبركة نذكر منها

أولا: الكفر بنعم الله تعالى:

قال الله تعالى {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢)

قال بعض أهل العلم: «إن هذا مثلٌ ضربه الله لأهل مكة»، وهو رواية العوفي عن ابن عباس، وإليه ذهب مجاهد وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وحكاه مالك عن الزهري رحمهم الله ، نقله عنهم ابن كثير وغيره .

فهذه القرية كانت في أمن و خير و بركة و لكنها كفر بما أنعم الله عليها و تعدت حدوده و لم تؤمن برسوله فكان جزاؤها ما اخبر الله تعالى من تحول الأمن الى خوف و النعمة الى جوع و ضنك و ما ربك بظلام للعبيد

يقول سيد قطب – رحمه الله - { فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون } وأخذ قومها العذاب وهم ظالمون .

ويجسم التعبير الجوع والخوف فيجعله لباسا؛ ويجعلهم يذوقون هذا اللباس ذوقا ، لأن الذوق أعمق أثرا في الحس من مساس اللباس للجلد . وتتداخل في التعبير استجابات الحواس فتضاعف مس الجوع والخوف لهم ولذعه وتأثيره وتغلغله في النفوس . لعلهم يشفقون من تلك العاقبة التي تنتظرهم لتأخذهم وهم ظالمون .

وفي ظل هذا المثل الذي تخايل فيه النعمة والرزق ، كما يخايل فيه المنع والحرمان ، يأمرهم بالأكل مما أحل لهم من الطيبات وشكر الله على نعمته إن كانوا يريدون أن يستقيموا على الإيمان الحق بالله ، وأن يخلصوا له

العبودية خالصة من الشرك ، الذي يوحي إليهم بتحريم بعض الطيبات على أنفسهم باسم الآلهة المدعاة)[١]

وهناك مثال آخر في القران ضربه الله عز وجل لقوم أغدق الله عليهم النعم و عاشوا في نعيم و رفاهية و لكنهم لم يشكروا تلك النعم بل بطروا و كفرا النعمة إنهم قوم سبأ يقول الله تعالى { لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩) وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢١)سبأ}

يقول ابن القيم إذ يقول: ومن تأمل ما قص الله تعالى في كتابه من أحوال الأمم الذين أزال نعمه عنهم وجد سبب ذلك جميعه إنما هو مخالفة أمره وعصيان رسله وكذلك من نظر في أحوال أهل عصره وما أزال الله عنهم من نعمه وجد ذلك كله من سوء عواقب الذنوب كما قيل

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم

[١] – في ظلال القرآن – (ج ٤ / ص ٤٩٥)

فما حفظت نعمة الله بشيء قط مثل طاعته ولا حصلت فيها الزيادة بمثل شكره ولا زالت عن العبد بمثل معصيته لربه فإنها نار النعم التي تعمل فيها كما تعمل النار في الحطب اليابس([1])

الذنوب والمعاصي:

ومن عقوباتها أنها تمحق بركة العمر وبركة الرزق وبركة العلم وبركة العمل وبركة الطاعة وبالجملة أنها تمحق بركة الدين والدنيا فلا تجد أقل بركة في عمره ودينه ودنياه ممن عصي الله وما محت البركة من الأرض إلا بمعاصي الخلق قال الله تعالي ولو أن اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض وقال تعالى { وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) } (وأن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه)

ومن أعظم الذنوب الربا فانه يمحق البركة في كل شيء:

{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) }

عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: "يأتي على الناس زمان يأكلون فيه الربا" قال: قيل له: الناس كلهم؟ قال: "من لم يأكله منهم ناله من غباره"([1])

[1] – بدائع الفوائد [جزء ٢ – صفحة ٤٣٢]

يقول الطبري – رحمه الله - وهذا نظير الخبر الذي روي عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: الرّبا وَإن كثُر فإلى قُلّ". (٢)

عن القاسم، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إن الله تبارك وتعالى يقبل الصدقة ولا يقبل منها إلا الطيب، ويربّيها لصاحبها كما يربِّي أحدُكم مُهره أو فَصيله، حتى إنّ اللقمة لتصيرُ مثل أحُد، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل:(يمحق الله الرّبا ويُرْبي الصدقات).(٣)

، عن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺيقول ما من قوم يظهر فيهم الربا إلا أخذوا بالسنة وما من قوم يظهر فيهم الرشا إلا أخذوا بالرعب)(٤)

ثالثا: عدم الوفاء في الكيل والميزان:

ومن أسباب موانع البركة عدم الوفاء في الكيل و الميزان فكم نشاد من إنسان يتعاملون بالكيل و الميزان و يربحون الأموال الكثيرة و لكنهم يشتكون الفقر و قلة البركة لأنهم حجبوا أنفسهم عن البركة بالتطفيف و الله تعالى توعد المطففين بالعذاب في الدنيا و الآخرة يقول سبحانه وتعالى { وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) المطففين }

---

١ – المسند (٤٩٤/٢) وسنن أبي داود برقم (١٣٣١) وسنن النسائي (٢٤٣/٧) وسنن ابن ماجة برقم (٢٢٧٨).

٢ أخرجه الحاكم في المستدرك ٢ : ٣٧

٣ – تفسير الطبري – (ج ٦ / ص ١٥

٤ – أخرجه احمد ح ١٧١٥٥ وقال الألباني (ضعيف) انظر حديث رقم : ٥٢١١ في ضعيف الجامع .

يقول الطبري – رحمه الله - يقول تعالى ذكره: الوادي الذي يسيل من صديد أهل جهنم في أسفلها للذين يُطَففون، يعني: للذين ينقصون الناس، ويبخسونهم حقوقهم في مكاييلهم إذا كالوهم، أو موازينهم إذا وزنوا لهم عن الواجب لهم من الوفاء، وأصل ذلك من الشيء الطفيف، وهو القليل النزر، والمطفِّف: المقلِّل حقّ صاحب الحقّ عما له من الوفاء والتمام في كيل أو وزن؛ ومنه قيل للقوم الذي يكونون سواء في حسبة أو عدد: هم سواء كطَفّ الصاع، يعني بذلك: كقرب الممتلئ منه ناقص عن الملء.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل([1]).

و لقد ذكر النبي ﷺ أن من أسباب محق البركة تطفيف الكيل و الميزان عن عبد الله بن عمر قال أقبل علينا رسول الله ﷺ سلم فقال يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم)([2])

رابعا: الكذب في البيع والشراء:

[1] – تفسير الطبري – (ج ٢٤ / ص ٢٧٧)

[2] أخرجه بن ماجه –٤٠٠٩و الحاكم ح ٨٧٧٢و قال الألباني : حسن ، الصحيحة (١٠٦

واعلم رحمني الله وإياك: أن من موانع البركة التي يتساهل فيها كثير من المسلمين الحلف عند البيع و الشراء فيجل العبد اليمين وسيلة من وسائل ترويج بضاعته و خداع المسلمين بتلك الأيمان

عن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيّ، ﷺ، يَقُولُ: « الْحَلِفُ مُنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مُمْحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ »(١) .

يقول ابن بطال – رحمه الله -قال المهلب: سئل بعض العلماء عن معنى قوله تعالى: {يمحق الله الربا ويربى الصدقات} وقيل له: نحن نرى صاحب الربا يربو ماله، وصاحب الصدقة ربما كان مقلا قال: متى يربى الله الصدقات؟ إن الصدقة يجدها صاحبها مثل أحد يوم القيامة، كذلك صاحب الربا يجد عمله كله ممحوقًا إن تصدق منه، أو وصل رحمه لم يكتب له بذلك حسنة، وكان عليه إثم الربا بحاله.

وقالت طائفة: إن الربا يمحق في الدنيا والآخرة على عموم اللفظ، واحتجوا على ذلك بقوله عليه السلام: «الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة» فلما كان نفاق السلعة بالحلف الكاذبة في الدنيا كان ممحقًا للبركة فيها في الدنيا فكذلك محق الربا يكون أيضًا فى الدنيا وذكر عبد الرزاق عن معمر قال: سمعنا أنه لا يأتي على صاحب الربا أربعون سنه حتى يمحق.)(٢)

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلِفِ فِي الْبَيْعِ فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ ثُمَّ يَمْحَقُ (٣)

---

١ – أخرجه الحميدي (١٠٣١) والبخاري (٧٨/٣) ومسلم (٥٦/٥ وأبو داود (٣٣٣٥والنسائى (٢٤٦/٧)

٢ – شرح ابن بطال – (ج ١١ / ص ٢٢٥)

٣ – أخرجه أحمد ح ٢١٥٠٤مسلم ح ٣٠١٥ و النسائي ح ٤٣٨٤ وابن ماجه ح ٢٢٠٠

الدرس الثالث عشر

الأسباب الجالبة للبركة

الحمد لله الذي زين قلوب أولياءه بأنوار الوفاق، وسقى أسرار أحبائه شرابا لذيذ المذاق، وألزم قلوب الخائفين الوجل والإشفاق، فلا يعلم الإنسان في أي الدواوين كتب ولا في أيّ الفرقين يساق، فأن سامح فبفضله، وان عاقب فبعدله، ولا اعتراض على الملك الخلاق.

وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلي يوم لقاءه

يا رب:

يظن الناس بي خيرا وإني أشر الناس إن لم تعف عني

ومالي حيلة إلا رجائي وجودك إن عفوت وحسن ظني

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

البشير النذير السراج المنير الذي عم نوره الأفاق، والنور الذي لا يعترض ضياءه كسوف ولا محاق، الحبيب القرب الذي أسري به على البراق، إلي إن جاوز السبع الطباق.

يا سيدي يا رسول الله

يا أجمل ما رأت قط عين ويا أكمل ما ولدت النساء

خلقت مبرأ من كل عيب كأنك خلقت كما تشاء

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين .

أخي المسلم... أختي المسلمة: بعد أن وقفنا على موانع حصول البركة هيا لنتعرف على مفاتيح البركة و الأسباب الجالبة لها .

اعلم زادك الله علما: أن للبركة أسباب إذا حققها المسلم فتحت عليه أبواب الخيرات من الأرض و السماوات وها هي بين يديك مسفرة تدعو على من يشكو قلة البركة أن يفوز بها :

أولا الإيمان بالله وتحقيق التقوى:

فمن أعظم الأسباب التي تحقق للعبد البركة في كل شيء إن يحقق المسلم الإيمان بالله تعالى و أن يكون من الذين آمنوا و كانوا يتقون يقول الله تعالى {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ [الأعراف:٩٦]

يقول القطان رحمه الله - بركات السماء: تشمل الروحية والمادية ، وبركات الأرض الخصب ، وما فيها من معادن وخيرات.

بعد أن بين الله أخْذَه لأهل القرى الذين كذّبوا رسُلهم- ذكر هنا لأهل مكةَ ما يكون من إغداقِ النعم لو آمنوا بالرسول واهتَدوا بهدْية ، واعتبروا بسنّة الله في الأُمم من قبلهم .

لو أن أهل تلك القرى آمنوا بما جاء به أنبياؤهم، وعملوا بوصاياهم ، وابتعدوا عما حرمه الله- لفتحْنا عليهم أنواعاً من بركات السماء والأرض نِعماً لا تحصى ، كالمطر والنبات والثمار والمعادن والأرزاق ، والسلامة من الآفات . . لكنهم جحدوا وكذبوا أولئك الرسل، فأنزلنا بهم عقوبتنا ، لِما كانوا يقترفونه من الشرك والمعاصي (١)

ذكر الإمام أحمد في مسنده في ضمن حديث قال وجدت في خزائن بعض بني أمية حنطة الحبة بقدر نواة التمرة وهي في صرة مكتوب عليها كان هذا ينبت في زمن من العدل وكثير من هذه الآفات أحدثها الله سبحانه وتعالى بما أحدث العباد من الذنوب وأخبرني جماعة من شيوخ الصحراء أنهم كانوا يعهدون الثمار أكبر مما هي الآن وكثير من هذه الآفات التي تصيبها لم يكونوا يعرفونها وإنما حدثت من قرب وأما تأثير الذنوب في الصور والخلق فقد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خلق الله آدم على صورته طوله ذراعا فلما خلقه قال اذهب فسلم على أولئك النفر وهم نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك فذهب فقال : السلام عليكم فقالوا : السلام عليك ورحمة الله " قال : " فزادوه ورحمة الله " . قال : " فكل من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن (٢)

فإذا أراد الله أن يطهر الأرض من الظلمة والخونة والفجرة ويخرج عبدا من عباده من أهل بيت نبيه فيملأ الأرض قسطا كما ملئت جورا ويقتل المسيح اليهود والنصارى ويقيم الدين الذي بعث الله به رسوله وتخرج الأرض بركاتها وتعود كما كانت حتى أن العصابة من الناس ليأكلون الرمانة ويستظلون بقحفها ويكون العنقود من العنب وقر بعير ولبن اللقحة

---

١ – تفسير القطان – (ج ٢ / ص ٦٣)

٢ – أخرجه البخاري ح ٣١٤٨ و مسلم ح ٢٨٤١

الواحدة يكفي الفئام من الناس وهذا لان الأرض لما طهرت من المعاصي ظهرت فيها آثار البركة من الله تعالى التي محقتها الذنوب والكفر (١)

ثانيا شكر الله تعالى على النعم:

و اعلم بارك الله لك و عليك: أن من مفاتيح البركة و النماء أن يشكر العبد رب الأرض و السماء يقول الله تعالى { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧)إبراهيم }

عن علي، أنه قال لرجل من همدان : « إن النعمة موصلة بالشكر ، والشكر معلق بالمزيد ، وهما مقرونان في قرن ، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد »)(٢)

ثالثا: الاستغفار:

فإن من أسباب البركة أن يكثر المرء من الاستغفار اللعزيز الغفار فإن ذلك يمنحه من ربه السعة في الرزق و البركة فيه يقول خير الرازقين { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢)نوح }

يقول ابن عطية – رمه الله - يقتضي أن الاستغفار سبب لنزول المطر في كل أمة .

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه استسقى بالناس فلم يزد على أن استغفر ساعة ثم انصرف فقال له قوم : ما رأيناك استسقيت يا أمير

---

١ – الجواب الكافي [جزء ١ – صفحة ٤٣]

٢ – الشكر – (ج ١ / ص ١٩)

المؤمنين ، فقال : والله لقد استنزلت المطر بمجادح السماء ، ثم قرأ الآية ، وسقى رضي الله عنه ([١])،

وشكى رجل إلى الحسن الجرب فقال له: استغفر الله، وشكى إليه آخر الفقر، فقال: استغفر إليه ، وقال له آخر : ادع الله أن يرزقني ولداً ، فقال له استغفر الله ، فقيل له في ذلك ، فنزع بهذه الآية .

قال القاضي أبو محمد: والاستغفار الذي أحال عليه الحسن ليس هو عندي لفظ الاستغفار فقط، بل الإخلاص والصدق في الأعمال والأقوال، فكذلك كان استغفار عمر رضي الله عنه، وروي أن قوم نوح كانوا قد أصابهم قحوط وأزمة، فلذلك بدأهم في وعده بأمر المطر ثم ثنى بالأموال والبنين.

قال قتادة : لأنهم كانوا أهل حب للدنيا وتعظيم لأمرها فاستدعاهم إلى الآخرة من الطريق التي يحبونها ، ([٢])

عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺمن لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب. ([٣])

رابعا: التوكل على الله تعالى:

ومن أسباب السعة في الرزق والبركة فيه أن يتوكل العبد على ربه ثم يأخذ بالأسباب فان الله تعالى أمرنا بالتوكل عليه فقال {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١ابراهيم}

---

[١] –مصنف ابن أبي شيبة – (ج ٧ / ص ٧٦)

[٢] – المحرر الوجيز – (ج ٦ / ص ٤٢٥)

[٣] –قال الألباني: ضعيف ، الضعيفة (٧٠٦)، ضعيف أبي داود (٢٦٨) ، التعليق الرغيب (٢ / ٢٦٨) // ضعيف الجامع (٥٨٢٩)

و النبي ﷺ أرشدنا إلى كل خير و حذرنا من كل شر و من الخير الذي دلنا عليه التوكل على الله تعالى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ { لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا ،و تروح بطانا }"([1]) .

فينبغي للباحث عن البركة أن يتوكل على الله سبحانه و تعالى ثم يتبعه الحركة و السعي من اجل طلب الحلال فان الله تعالى امر سيدة البتول ان تهز جذع النخل حتى يتساقط عليها الرطب و لم يأمرها بالتوكل فقط بل لابد من الأخذ بالأسباب فالأخذ بالأسباب أمر واجب و قد أخذ بعض العلماء من قوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { وهزى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النخلة } [مريم : ٢٥] الآية - أن السعي والتسبب في تحصيل الرزق أمر مأمور به شرعاً وأنه لا ينافي التوكل على الله جل وعلا . وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة.

خامسا: الصدق في البيع والشراء:

واعلموا رحمكم الله – أن من أسباب حصول البركة الصدق في البيع و الشراء فان ذلك من أبواب البركة التي غفل عنها كثير من التجار فهم يربحون ولكن لا يجدون لربحهم بركة بل هم في هم و غم و فقر رغم كثرة الأرباح بسبب الكذب في بيعهم و شرائهم، ولقد أوضح النبي الحبيب- ﷺ فعن حكيم بن حزام، قال: قال رسول الله ﷺ« البيعان بالخيار، ما لم يتفرقا،

[1] – قال الألباني في "السلسلة الصحيحة" ١ / ٥٥٧ : أخرجه أحمد (١ / ٣٠) و الترمذي (٢ / ٥٥ –) و الحاكم (٤ / ٣١٨) و قال الترمذي : " حديث حسن صحيح " ..

أو قال حتى يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما » .(١)

يقول ابن حجر- رحمه الله - قوله : (محقت بركة بيعهما)

يحتمل أن يكون على ظاهره وأن شؤم التدليس والكذب وقع في ذلك العقد فمحق بركته ، وإن كان الصادق مأجورا والكاذب مأزورا . ويحتمل أن يكون ذلك مختصا بمن وقع منه التدليس، والعيب دون الآخر، ورجحه ابن أبي جمرة. وفي الحديث فضل الصدق والحث عليه وذم الكذب والحث على منعه، وأنه سبب لذهاب البركة، وأن عمل الآخرة يحصل خيري الدنيا والآخرة.(٢)

سادسا: البكور في طلب الرزق:

ومن بواعث حصول البركة البكور في طلب الرزق و لقد دعا رسول الله –ﷺ لأهل البكور بالبركة و دعوة النبي ﷺ مستجابة عند الله تعالى عن صخر بن وداعة الغامدي الصحابي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال اللهم بارك لأمتي في بكورها وكان إذا بعث سرية أو جيشا بعثهم من أول النهار وكان صخر تاجرا فكان يبعث تجارته من أول النهار فأثرى وكثر ماله)(٣)

يقول ابن بطال – رحمه الله - وإنما خص ﷺ البكور بالدعاء بالبركة فيه من بين سائر الأوقات – والله أعلم - لأنه وقت يقصده الناس بابتداء أعمالهم

١– أخرجه أحمد (٤٠٢/٣، ٤٣٤) والدارمى (٢٥٥٠) والبخارى (٨٣/٣) . ومسلم (١٠/٥) ، وأبو داود (٣٤٥٩) والترمذى (١٢٤٦) والنسائى (٢٤٧/٧

٢ – فتح الباري لابن حجر – (ج ٦ / ص ٤٣١)

٣ واه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي حديث حسنو صححه الالباني في صحيح الترغيب ح ١٦٩٣ و انظر حديث رقم : ١٣٠٠ في صحيح الجامع .

وهو وقت نشاط وقيام من دعة، فخصه بالدعاء؛ لينال بركة دعوته جميع أمته.([١])

عن ابن عمر –رضي الله عنه – قال رسول الله ﷺ بورك لأمتي في بكورها([٢])

يقول ابن القيم – رحمه الله -ومن المكروه عندهم: النوم بين صلاة الصبح وطلوع الشمس فإنه وقت غنيمة وللسير ذلك الوقت عند السالكين مزية عظيمة حتى لو ساروا طول ليلهم لم يسمحوا بالقعود عن السير ذلك الوقت حتى تطلع الشمس فإنه أول النهار ومفتاحه ووقت نزول الأرزاق وحصول القسم وحلول البركة ومنه ينشأ النهار وينسحب حكم جميعه على حكم تلك الحصة فينبغى أن يكون نومها كنوم المضطر)([٣])

[١] – شرح ابن بطال – (ج ٩ / ص ١٦٣)

[٢] – أخرجه الطبراني في الكبير و الاوسط ح ٧٦٥ و ابو يعلى ح ٥٢٨١ و قال الألباني (صحيح) انظر حديث رقم : ٢٨٤١ في صحيح الجامع .

[٣] – مدارج السالكين [جزء ١ – صفحة ٤٥٩]

الدرس الرابع عشر

تابع أسباب البركة

الحمد لله الذي رسم في جميع مصنوعاته على وجوده وكماله دليلا، الحي العليم السميع البصير الملك الكبير لا يدركه الوهم ولا يحده الفكر تمثيلا، تعالى ذو الملك والملكوت، لم يزل ولا يزال عظيما مقتدرا جليلا، تقدس ذو العزة والجبروت، فلا تستطيع الأوهام إليه وصولا.

وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلي يوم لقاءه

يا رب

أنا العبد الذي كسب الذنوب وصدته المعاصي أن يتوبا

أنا المضطر أرجو منك عفوا ومن يرجو رضاك فلن يخيبا

فيا مولاي جود بالعفو وارحم عبدا لم يزل يشكو الذنوبا

وسامح هفوتي وأجب دعائي فانك لم تزل أبدا مجيبا

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

فصلوا عليه وسلموا تسلينا

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

الوفاء بالكيل والميزان:

ومن الأسباب الجالبة للبركة الوفاء بالكيل و الميزان كما اخبرنا سيد ولد عدنان ﷺإن من بركة الطعام كيله عَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ كِيلُوا طَعَامَكُمْ يُبَارَكْ لَكُمْ (١)

يقول ابن بطال – رحمه الله -الكيل مندوب إليه فيما ينفقه المرء على عياله ونَدبُ النبي أمته إليه يدل على البركة فيه.

قال المهلب: ويحتمل المعنى - والله أعلم - أنهم كانوا يأكلون بلا كيل، فيزيدون في الأكل فلا يبلغ لهم الطعام إلى المدة التي كانوا يقدرونها، فقال لهم عليه السلام: « كيلوا » أي: أخرجوا بكيل معلوم يبلغكم إلى المدة التي قدرتم مع ما وضع الله من البركة في مد أهل المدينة بدعوته عليه السلام.

فإن قيل: فما معنى قول عائشة: « كان عندى شطر شعير، نأكل منه حتى طال على فكلته ففنى » ، وهذا معارض لحديث المقدام. قال المهلب: ليس بينهما تعارض بحمد الله، ومعناه: أنها كانت تخرج قوتها بغير كيل، وهى متقوتة باليسير، فبورك لها فيه مع بركة النبي الباقية عليها وفى بيتها فلما كالته علمت المدة التى يبلغ إليها، ففنى عند انقضائها، لا أن الكيل وكد فيه أن يفنى.(٢)

و لقد أمرنا الرسول الكريم بالكيل حتى تحل البركة عن علي – رضي الله عنه – قال رسول الله ﷺ كيلوا طعامكم فإن البركة في الطعام المكيل (٣).

---

١ – أخرجه أحمد (١٣١/٤) والبخارى (٨٨/٣ح١٩٨٤

٢ – شرح ابن بطال – (ج ١١ / ص ٢٦٢)

٣ أخرجه ابن النجار وقال الألباني (صحيح) انظر حديث رقم: ٤٥٩٩ في صحيح الجامع.

الزكاة والصدقة: ومن أسباب البركة و النماء الذي دل عليها رب الأرض و السماء و سيد الأنبياء – صلى الله عليه و سلم – يقول الله تعالى { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣)التوبة }فالله تعالى عندما فرض علينا الزكاة و حثنا الرسول ﷺ على الصدقة بين لنا الفوائد التي ستعود على المزكي و المتصدق قبل المتصدق عليه باننا سنجني من وراء ذلك النماء و البركة و الخير الوفير في الدنيا و الاخرة

و المشاهد المحسوس و الواقع الملموس أن الله تعالى يبارك في الأموال التي يخرج أصحابها الزكاة و هي في نماء ما اخرجوا زكاة أموالهم و لم لا و النبي – ﷺ اقسم قسما حقا أن المال لا ينقص بالصدقة عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله ﷺقال (ثلاث والذي نفسي بيده إن كنت لحالفا عليهن لا ينقص مال من صدقة فتصدقوا ولا يعفو عبد عن مظلمة إلا زاده الله بها عزا يوم القيامة ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر)([1])

عن أبي كبشة الأنماري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه قال ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزا ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها ([2])

تاسعا: سخاوة النفس وعدم الجشع والطمع:

[1] – أخرجه احمد ح ١٥٨٤والطبراني في الصغير ح ٢٣٦١ وعبد ابن حميد ح ١٦١و الشهاب القضاعي ح٧٦٣ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ح ٨١٤

[2] – أخرجه الترمذي ح ٢٢٤٧ وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ح ابن ماجة (٤٢٢٨)

وهو أن يطلب المال بسخاوة نفس دون إشراف و لا إلحاح فإن الله تعالى يبارك له في ذلك المال عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺفأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم قال يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه كالذي يأكل ولا يشبع اليد العليا خير من اليد السفلى قال حكيم فقلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيما إلى العطاء فيأبى أن يقبله منه ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل منه شيئا فقال عمر إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم أني أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه فلم يرزأ حكيم أحدا من الناس بعد رسول الله ﷺحتى توفي(١)

وقوله: «فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه » يدل أن القناعة وطلب الكفاية والإجمال فى الطلب مقرون بالبركة، وأن من طلب المال بالشره والحرص، فلم يأخذه من حقه لم يبارك له فيه، وعوقب بأن حرم بركة ما جمع.(٢)

الحادي عشر: الاجتماع على الطعام:

ومن أسباب حدوث وحلول البركة في الطعام الاجتماع عليه فعن وحشي بن حرب عن أبيه عن جده أن أصحاب النبي ﷺقالوا يا رسول الله إنا نأكل

---

١ – أخرجه الحميدى (٥٥٣) وأحمد (٤٣٤/٣) والبخاري (١١٦/٨) قال: ، ومسلم (٩٤/٣) والنسائى (٦٠/٥) والترمذى (٢٤٦٣)

٢ – شرح ابن بطال – (ج ٦ / ص ٤٨)

ولا نشبع قال فلعلكم تفترقون قالوا نعم قال فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه (١)

عن أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النبي ﷺ : « طَعَامُ الاثْنَيْنِ كافي الثَّلاثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلاثَةِ كافي الأَرْبَعَةِ »(٢)

يقول ابن بطال –رحمه الله -يريد أنه ما شبع اثنان يكفي ثلاثة رجال وما يشبع منه ثلاثة يكفي أربعة والكفاية ليست بالشبع والاستنباط كما أنها ليست بالغنى والإكثار، ألا ترى قول أبى حازم: ابن آدم إذا كان ما يكفيك لا يغنيك فليس شيء يغنيك.

وقد روى لفظ الترجمة عن النبي ﷺ من حديث ابن وهب عن ابن لهيعة عن أبى الزبير، عن جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول: « طعام الواحد يكفى الأثنين، وطعام الاثنين يكفى الأربعة، وطعام الأربعة يكفى الثمانية ».

قال المهلب: والمراد بهذه الأحاديث الحض على المكارمة في الأكل والمواساة والإيثار على النفس الذي مدح الله به أصحاب نبيه، فقال: {ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة} ولا يراد بها معنى التساوي في الأكل والتشاح؛ لأن قوله عليه السلام: «كافي الثلاثة» دليل على الأثرة التي كانوا يمتدحون بها والتقنع بالكفاية، وقد هم عمر بن الخطاب فى سنة مجاعة أن يجعل مع كل أهل بيت مثلهم وقال: لن يهلك أحد عن نصف قوته.

---

١ – قال الألباني في "السلسلة الصحيحة" ٢ / ٢٧٢ : أخرجه أبو داود (٢ / ١٣٩) و ابن ماجه (٢ / ٣٠٧) و ابن حبان (١٣٤٥) و الحاكم (٢ / ١٠٣) و أحمد (٣ / ٥٠١)

٢ – أخرجه مالك « الموطأ » صفحة (٥٧٨). والحميدى (١٠٦٨) وأحمد (٢٤٤/٢) والبخارى (٩٢/٧) ومسلم (١٣٢/٦). والترمذى (١٨٢٠) تحفة الأشراف » (١٣٨٠٤/١٠)

قال ابن المنذر: وحديث أبى هريرة يدل على أنه يستحب الاجتماع على الطعام وألا يأكل المرء وحده؛ فإن البركة في ذلك على ما جاء في حديث وحشي عن النبي.([١])

التسمية عند الأكل: فإن من الآداب التي أرشدنا إليها النبي ﷺ أن يسمي العبد عن الطعام فان البركة تحل فيه

عن زيد بن أسلم أن رسول الله ﷺ قال: « إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها واذكروا اسم الله، فأن أحدكم إذا سلم حين يدخل بيته وذكر اسم الله على طعامه، يقول الشيطان لأصحابه: لا مبيت لكم هاهنا ولاعشاء وإذا لم يسلم إذا دخل ولم يذكر اسم الله على طعامه، قال الشيطان لأصحابه: أدركتم المبيت والعشا »(٢)

الخامس عشر صلة الرحم:

ومن أسباب البركة و الماء و كثرة الخير و العطاء صلة الأرحام و الإحسان الى ذوي الرحم المسلم فان الله تعالى وعد من يصل رحمه بالصلة في الدنيا و الآخرة عن أَنَس، قَالَ ﷺ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ في رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ في أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » ([٣])

عن داود بن عيسى قال مكتوب في التوراة صلة الرحم وحسن الخلق وبر القرابة تعمر الديار وتكثر الأموال وتزيد في الآجال وإن كان القوم كفارا

يقول بدر الدين العيني – رحمه الله - فإن قلت الآجال مقدرة وكذا الأرزاق لا تزيد ولا تنقص فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قلت

[١] – شرح ابن بطال –(ج ١٨ / ص ٨٤)

[٢] – أخرجه أحمد ح ١٤٢٠٢ مسلم ح ٣٧٦٢ وأبو داود ح ٣٢٧٣ وابن ماجه ح ٣٨٧٧

[٣] – أخرجه أحمد (٣٧٤/٢) أخرجه البخاري (٦/٨) ومسلم (٨/٨) وفى الأدب المفرد (٥٧). والترمذى (١٩٧٩)

أجيب عن هذا بوجهين (أحدهما) أن هذه الزيادة بالبركة في العمر بسبب التوفيق في الطاعات وصيانته عن الضياع وحاصله أنها بحسب الكيف لا الكم

(والثاني) أن الزيادة على حقيقتها وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر وإلى ما يظهر له في اللوح المحفوظ بالمحو والإثبات فيه يمحو الله ما يشاء ويثبت كما أن عمر فلان ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإنه يزاد عليه عشرة وهو سبعون وقد علم الله عز وجل بما سيقع له من ذلك فبالنسبة إلى الله تعالى لا زيادة ولا نقصان ويقال له القضاء المبرم وإنما يتصور الزيادة بالنسبة إليهم ويسمى مثله بالقضاء المعلق ويقال المراد بقاء ذكره الجميل بعده فكأنه لم يمت وهو إما بالعلم الذي ينتفع به أو الصدقة الجارية أو الخلف الصالح ([1])

عن أبي سلمة قال اشتكى أبو الرداد الليثي فعاده عبد الرحمن بن عوف فقال خيرهم وأوصلهم ما علمت أبا محمد فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته([2])

[1] – عمدة القاري [جزء ٢٢ – صفحة ٩١]

[2] – أخرجه احمد ح١٥٧١و الترمذي ح ١٨٣٠ و ابن بطة في الإبانة ح ١٨٩١و الحاكم ح ٧٣٧٣و الطبراني في الكبير و الأوسط ح ٣٤٦٩و ابن حبان في صحيحه ح ٤٤٤و قال الألباني (صحيح) انظر حديث رقم : ٤٣١٤

الدرس الخامس عشر

سورة الإخلاص

الحمد لله الذي جعل القرآن هداية لِلمقبلين، وجعل تلاوته بخضوع تهل دمع الخاشعين، وأنزل فيه من الوعيد ما يهز به أركان الظالمين، وأخبر فيه أن الموت نهايةٌ لعالمين، وأننا بعد الموت للحساب مبعوثين وأننا سنحاسب عما كنا فاعلين، وسنقف بذل وخضوع بين يدي رب العالمين، [وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ] [الفجر: ٢٣] [وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ] [إبراهيم: ٤٩] ليس هناك فرق بين ملك معظم وإنسان مهين، هذا جزاء من أخلص العمل لله رب العالمين، وهذا عطاء رب الأرباب مالك يوم الدين.

سبحانه من إله عظيم أعز الحق وأخرس المبطلين سبحانه عدد

ما دعاه عباده المساكين سبحانه عدد ما انهمرت دموع المنيبين سبحانه جواد كريم قوي متين

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده شريك له وأن محمدًا رسول الله ما جرا أثواب الحرير وما مشى التاج من فوق الجبين مرصعًا القميص مرقعًا

إخوة الإسلام: نعيش في هذا اليوم الطيب مع سورة من أعظم سور القرآن و التي تعد ثلث القران و التي من قرأها بني له قصر في الجنة مع سورة الإخلاص هيا لنتعرف على فضائلها.

أسماؤها:

أشهر أسمائها: «الإخلاص»، وسمِّيت بذلك؛ لأنَّ في قراءتها خلاصا من عذاب الله، أو لأنَّ فيها إخلاصا لله من كل عيب ومن كل شريك، أو لأنَّها خالصة لله ليس فيها أمر ولا نهي، وقيل: سميت بالإخلاص لأنَّها أخلصت التوحيد لله، أو لأنَّ قارئها وتاليها قد أخلص دينه لله.

ومن أسمائها: «قل هو الله أحد»، وقد بوب البخاري في «الصحيح» باب فضل «قل هو الله أحد»؛ ومن أسمائها: التوحيد، والأساس؛ لأن التوحيد أصل لسائر أصول الدين، ومن أسمائها: التَّفريد والتَّجريد والنَّجاة والولاية والمعرفة - لأنَّ معرفة الله إنما تتمُّ بمعرفة ما فيها - والنِّسبة والصَّمد والمعوِّذة والمانعة والمذكِّرة والنُّور والإيمان والمُقَشْقِشة والمعولة والبراءة.

سبب نزول هذه السورة:

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: «إن المشركين قالوا للنبي ﷺ: انسب لنا ربك. فأنزل الله عز وجل: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «أن أعرابيًا جاء إلى النبي ﷺ ، فقال: انسب لنا ربك. فأنزل الله عز وجل: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ إلى آخرها».

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «جاءت اليهود إلى النبي ﷺ- ، منهم كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب، فقالوا: يا محمد صف لنا ربك، الذي بعثك، فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ ﴾ فيخرج منه شيء ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ فيخرج من شيء».

ومحصل هذه الروايات بمجموعها أن المشركين من أهل مكة ومن أهل الكتاب سألوا النبي ﷺأن ينسب ويصف لهم ربه فأنزل الله هذه السور.

من فضائلها أنه يُبنى لقارئها بيت في الجنة:

عن أنس -رضي الله عنه عن رسول لله ﷺقال: من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى الله له بيتا في الجنة فقال عمر بن الخطاب: إذا نستكثر يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ: الله أكثر وأطيب(١)

معاذ بن أنس الجهني صاحب النبي ﷺعن النبي ﷺقال: من قرأ قل هو الله أحد حتى يختمها عشر مرات بني الله له قصرا في الجنة فقال عمر بن الخطاب إذا أستكثر يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكثر وأطيب (٢)(من قرأ قل هو الله أحد عشرين مرة بنى الله له قصرا في الجنة) وفي هذا الحديث وما قبله إثبات فضل { قل هو الله أحد } وقد قال بعضهم : إنها تضاهي كلمة التوحيد لما اشتملت عليه من الجمل المثبتة والنافية مع زيادة تعليل ومعنى النفي أنه الخالق الرزاق المعبود لأنه ليس فوقه من يمنعه من ذلك كالوالد ولا من يساويه كالكفؤ ولا من يعينه كالولد (٣)

تعدل ثلث القرآن:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ((احْشِدُوا فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ))، فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺفَقَرَأَ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١]، ثُمَّ دَخَلَ فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: "إِنِّي أُرَى هَذَا خَبَرٌ جَاءَهُ مِنَ

١–أخرجه الطبراني في الكبير ح ٣٩٧ وقال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٦٤٧٢ في صحيح الجامع

٢– أحمد ح ١٥٦٤٨و حسنه الألباني في الصحيحة ح ٥٨٩

٣– فيض القدير [جزء ٦ – صفحة ٢٠٢]

السَّمَاءِ، فَذَاكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ"، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺفَقَالَ: ((إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ: سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلاَ إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ))؛ (١) "صحيح مسلم".

يُبنى لقارئها بيت في الجنة:

عَنْ سَهْلِ بنِ مُعَاذِ بن أَنَسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺقَالَ: ((مَنْ قَرَأَ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١] عَشْرَ مَرَّاتٍ، بنى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ))، فَقَالَ عُمَرُ بن الْخَطَّابِ: إِذنْ نَسْتَكْثِرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((اللَّهُ أَكْثَرُ وَأَطْيَبُ))؛ (٢)

حراسة صاحبها وحفظه من الشرور بإذن الله:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ بَيْنَا أَنَا أَقُودُ بِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ رَاحِلَتَهُ فِي غَزْوَةٍ، إِذْ قَالَ: ((يَا عُقْبَةُ قُلْ))، فَاسْتَمَعْتُ، ثُمَّ قَالَ: ((يَا عُقْبَةُ قُلْ)) فَاسْتَمَعْتُ، فَقَالَهَا الثَّالِثَةَ، فَقُلْتُ: "مَا أَقُولُ؟"، فَقَالَ: ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ))، فَقَرَأَ السُّورَةَ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ [الفلق: ١] وَقَرَأْتُ مَعَهُ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَرَأَ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ [الناس: ١] فَقَرَأْتُ مَعَهُ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَالَ ((مَا تَعَوَّذَ بِمِثْلِهِنَّ أَحَدٌ))؛ (٣) .

حبها سبب لدخول الجنة: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَجُلاً كَانَ يَلْزَمُ قِرَاءَةَ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١] فِي الصَّلاةِ فِي كُلِّ سُورَةٍ وَهُوَ يَؤُمُّ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ : ((مَا يُلْزِمُكَ هَذِهِ السُّورَةَ؟))، قَالَ: "إِنِّي أُحِبُّهَا"، قَالَ: ((حُبُّهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ))(٤)

---

١ – أخرجه مسلم (٢/٢٠٠) ، والترمذي (٢٩٠٠) – وصححه–، وأحمد (٢/ ٤٢٩)

٢ – رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني في "صحيح الجامع"، حديث رقم: ٦٤٧٢.

٣ – رواه النسائي، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" حديث رقم: ٧٩٥٠

٤ – رواه الترمذي (٢٩٠١)، وحسنه الألباني.

الدرس السادس عشر

قراءة آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة

الحمد لله العليم الحكيم العزيز الغفار، القهار الذي لا تخفى معرفته على من نظر في بدائع مملكته بعين الاعتبار، القدوس الصمد التعالي عن مشابه الأغيار، الغني عن جميع الموجودات فلا تحويه الجهات والأقطار، الكبير الذي تحيرت العقول في وصف كبريائه فلا تحيط به الأفكار، الواحد الأحد المنفرد بالخلق والاختيار، الحي العليم الذي تساوى في علمه الجهر والإسرار، السميع البصير الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار.

وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيب

إن الصلاة على المختار إن ذكرت في مجلس فاح منه الطيب إذ نفحا

محمد أحمد المختار من مضر أزكى الخلائق جمعا أفصح الفصحا

صلى عليه إله العرش ثم على أهليه والصحب نعم السادة النصحا

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

اعلم علمني الله و إياك : أن أعظم آية في كتاب الله تعالى هي آية الكرسي وذلك لما تضمنته هذه الآية من أسماء الله و صفات الله الحسنى و نعوت الكمال و الجلال و البهاء له سبحانه و تعالى يقول الحق -سبحانه وتعالى (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥)

يقول السعدي - رحمه الله - هذه الآية الكريمة أعظم آيات القرآن وأفضلها وأجلها، وذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة والصفات الكريمة، فلهذا كثرت الأحاديث في الترغيب في قراءتها وجعلها وردا للإنسان في أوقاته صباحا ومساء وعند نومه وأدبار الصلوات المكتوبات، .....

وها هي تقدم من يقر بما فيها و يقراها دبر كل صلاة شهادة ضمان لدخول جنة الرحيم الرحمن فعن أمامة يقول : قال رسول الله - ﷺ من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت (١)

قال بعض أهل العلم: واختصت آية الكرسي بذلك؛ لِمَا اشتملت عليه من أصول الأسماء والصفات الإلهية، والوحدانية، والحياة القيومية، والعلم، والملك، والقدرة، والإرادة، و﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ متمحضة لذكر صفات الله تعالى.

[1]- أخرجه البيهقي في الشعب ح ٧٥٣٢ و صححه الألباني في الصحيحة ح ٩٧٢

هي أعظم آية في القرآن الكريم فعن أبي بن كعب قال : قال رسول الله - ﷺ"يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قال : قلت الله ورسوله أعلم قال : يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قال : قلت " الله لا إله إلا هو الحي القيوم " قال فضرب علي أو في صدري وقال " والله ليهنك العلم أبا المنذر "(١)

وفي رواية (عن أبي : أن النبي - ﷺ سأله أي آية في كتاب الله أعظم قال الله ورسوله أعلم فرددها مرارا ثم قال أبي آية الكرسي قال ليهنك العلم أبا المنذر والذي نفسي بيده ان لها لسانا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش(٢)

أن فيها اسم الله الأعظم

عن أبي أمامة رضي الله عنه : عن النبي - ﷺ قال : إن اسم الله الأعظم لفي ثلاث سور من القرآن في سورة البقرة و آل عمران و طه فالتمستها فوجدت في سورة البقرة آية الكرسي { الله لا إله إلا هو الحي القيوم } و في سورة آل عمران { الم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم } و في سورة طه { وعنت الوجوه للحي القيوم (٣)

يقول المناوي - رحمه الله - (اسم الله الأعظم) قيل الأعظم بمعنى العظيم وليس أفعل للتفضيل لأن كل اسم من أسمائه عظيم وليس بعضها أعظم من بعض وقيل هو للتفضيل لأن كل اسم فيه أكثر تعطيما لله فهو أعظم فالله أعظم من الرب فإنه لاشريك له في تسميته به لا بالإضافة ولا بدونها وأما الرب فيضاف للمخلوق (الذي إذا دُعي به أجاب) بمعنى أنه يعطى

---

[١]– أخرجه مسلم ح ٨١٠

[٢] – أخرجه أحمد ح ٢١٣١٥ و عبد الرزاق ح ٦٠٠١ وعبد بن حميد ح ١٧٨ وصححه الالباني في الصحيحة ح ٣٤١٠

[٣]– أخرجه الحاكم ح ١٨٦٦ قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٩٧٩ في صحيح الجامع

عين المسؤول بخلاف الدعاء بغيره فإنه وإن كان لا يرد لكونه بين إحدى ثلاث : إعطاء المسؤول في الدنيا أو تأخيره للآخرة أو التعويض بالأحسن (في ثلاث سور من القرآن : في البقرة وآل عمران وطه) قال أبو شامة : فالتمستها فوجدت في البقرة في آية الكرسي : الله لا إله إلا هو الحي القيوم وفي آل عمران : الله لا إله إلا هو الحي القيوم وفي طه : وعنت الوجوه للحي القيوم كذا في الفردوس وقد اختلف في الاسم الأعظم على نحو أربعين قولا أفردها المصنف وغيره بالتأليف .

قال ابن حجر : وأرجحها من حيث السند الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وفي الحديث رد علي أبي الحسين بن سمعون في زعمه أن الاسم الأعظم سبعة وثلاثون حرفا من حروف المعجم نقله عنه في الملل والنحل (١)

آية الكرسي حصن من الشيطان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:وكلني رسول الله - ﷺ بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آت ، فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته وقلت : "والله لأرفعنك إلى رسول الله - ﷺ " ، قال: إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت فقال النبي - ﷺ : (يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة) قال: قلت: "يا رسول الله، شكا حاجة شديدة، وعيالاً فرحمته فخليت سبيله"، قال: (أما إنه قد كذبك، وسيعود) فعرفت أنه سيعود، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إنه سيعود (فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: "لأرفعنك إلى رسول الله - ﷺ "، قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال، لا أعود، فرحمته فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله - ﷺ : (يا أبا هريرة ما فعل أسيرك) قلت: "يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً، فرحمته فخليت سبيله" ، قال: (أما إنه كذبك،

---

[١] – فيض القدير [جزء ١ – صفحة ٥١٠]

وسيعود). فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: "لأرفعنك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرات تزعم لا تعود، ثم تعود"، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت : "ما هو؟" قال: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله فأصبحت، فقال لي رسول الله - ﷺ : (ما فعل أسيرك البارحة). قلت: "يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله"، قال: (ما هي) قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم)وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح - وكانوا أحرص شيء على الخير - فقال النبي - ﷺ : (أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟) قال:" لا" ، قال: (ذاك شيطان(١)

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه : أنه كانت له سهوة فيها تمر فكانت تجيء الغول فتأخذ منه قال فشكا ذلك إلى النبي - ﷺ قال : (فاذهب فإذا رأيتها فقل بسم الله أجيبي رسول الله - ﷺ قال : فأخذها فحلفت أن لا تعود فأرسلها فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : (ما فعل أسيرك ؟) قال : "حلفت أن لا تعود" فقال : (كذبت وهي معاودة للكذب) قال : فأخذها مرة أخرى فحلفت أن لا تعود فأرسلها فجاء إلى النبي- ﷺ فقال : (ما فعل أسيرك ؟) قال : "حلفت أن لا تعود" فقال :)كذبت وهي معاودة للكذب) فأخذها فقال : "ما أنا بتاركك حتى أذهب بك إلى النبي - ﷺ " فقالت : إني ذاكرة لك شيئاً آية الكرسي اقرأها في بيتك فلا

---

١ – أخرجه البخاري ح ٢٣١١

يقربك شيطان ولا غيره ، قال فجاء إلى النبي - ﷺ فقال : (ما فعل أسيرك ؟) قال فأخبره بما قالت ، قال : (صدقت وهي كذوب(١)

الدرس السابع عشر

صلاة البردين

الحمد لله رب العلمين إله الأولين والآخرين وقيوم السماوات والأرضين، سبحانه

سبحانه بهرت عظمته قلوب العارفين، وأظهرت بدائعه لنواظر المتأملين، نصب الجبال فأرساها، وأرسل الرياح فأجرها، ورفع السماء فأعلاها وبسط الأرض فدحاها، الملائكة من خشيته مشفقون، والرسل من هيبته خائفون، والجبابرة لعظمته خاضعون،{ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ }[الروم: ٢٦]

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد الأحد، القيوم الصمد، الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ

وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ، لا مغيث غير الله، ولا مجير غير الله، ولا معين غير الله، ولا ناصر غير الله،

---

١ –أخرجه الترمذي ح (٢٨٨٠) وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب١٤٦٩

وأشهد أن محمد عبده ورسوله النبي المصطفى والرسول المجتبى الرحمةا لمهداة والنعمة المسداة، صاحب المقام المحمود والحوض المورود الشفاعة العظمى،سيد الأولين والأخرين على الله ولا فخر ذاك:

اللهم صل عليه وسلم على أله وأصحابه

حديثنا في هذا اللقاء مع شهادة ضمان لدخول جنة الرحمن وهي من الأمور التي فرط فيها كثير من المسلمين المحافظة على صلاة الفجر و العصر في جماعة فقد بشر النبي - ﷺ من يحافظ عليما بدخول الجنة

عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من صلى البردين دخل الجنة)(١)

يقول ابن حجر - رحمه الله - وقال البزار في توجيه اختصاص هاتين الصلاتين بدخول الجنة دون غيرهما من الصلوات ما محصله إن من موصولة لا شرطية والمراد الذين صلوهما أول ما فرضت الصلاة ثم ماتوا قبل فرض الصلوات الخمس لأنها فرضت أولا ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي ثم فرضت الصلوات الخمس فهو خبر عن ناس مخصوصين لا عموم فيه قلت ولا يخفى ما فيه من التكلف والأوجه أن من في الحديث شرطية وقوله دخل جواب الشرط وعدل عن الأصل وهو فعل المضارع كأن يقول يدخل الجنة إرادة للتأكيد في وقوعه بجعل ما سيقع كالواقع)(٢) واعلم أن ثواب هاتين الصلاتين أكثر من أن يحصيه إنسان إذ لا يعلم ثوابه إلا واهبه سبحانه وتعالى صلاة العشاء والفجر في جماعة فثوابهما كقيام ليلة من صلى الفجر والعشاء الدليل : عن عثمان بن عفان قال : قال رسول

---

[١] – أخرجه البخاري ح ٥٤٨

[٢] – فتح الباري – ابن حجر [جزء ٢ – صفحة ٥٣]

الله - ﷺ " من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى العشاء والفجر في جماعة كان كقيام ليلة "(١)

يقول المناوي - رحمه الله - (من صلى العشاء في جماعة) أي معهم (فكأنما قام نصف الليل) أي اشتغل بالعبادة إلى نصف الليل (ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله) نزل صلاة كل من طرفي الليل منزلة نوافل نصفه ولا يلزم منه أن يبلغ ثوابه ثواب من قام الليل كله لأن هذا تشبيه في مطلق مقدار الثواب ولا يلزم من تشبيه الشيء بالشيء أخذه بجميع أحكامه ولو كان قدر الثواب سواء لم يكن لمصلي العشاء والفجر جماعة منفعة في قيام الليل غير التعب ذكره البيضاوي . وقال الطيبي : لم يرد بقوله فكأنما صلى الليل كله ولم يقل قام ليشاكل قوله صلى الصبح (٢) وها هي بعض فوائد تلك الصلاة

تزكية الملائكة عند الله ، قال الله سبحانه وتعالى: { وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا } [الإسراء:٧٨]

عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ قال: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون) (٣)

يقول بدر الدين العيني - رحمه الله - وقال القرطبي وهذه حكمة اجتماعهم في هاتين الصلاتين أو يكون سؤاله لهم استدعاء لشهادتهم لهم ولذلك قالوا

---

[١]– رواه مالك في الموطأ ح ٢٥٩ وأبو داود ح ٥٥٥ والترمذي ح ٢٢١ وأحمد ح ٤٠٨ قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم : ٦٣٤١ في صحيح الجامع

[٢] – فيض القدير [جزء ٦ – صفحة ١٦٥]

[٣] – صحيح البخاري [جزء ١ – صفحة ٢٠٣ ح ٥٣٠ ومسلم ح ٦٣٢

أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون وهذا من خفي لطفه وجميل ستره إذا لم يطلعهم إلا على حال عبادتهم ولم يطلعهم على حالة شهواتهم وما يشبهها انتهى هذا الذي قاله يعطي أنهم غير الحفظة لأن الحفظة يطلعون على أحوالهم كلها اللهم إلا أن تكون الحفظة غير الكاتبين فيتجه ما قاله والظاهر أنهم غيرهما لأنه قد جاء في بعض الأحاديث إذا مات العبد جلس كاتباه عند قبره يستغفران له ويصليان عليه إلى يوم القيامة يوضحه ما رواه ابن المنذر بسند له عن أبي عبيدة بن عبد الله عن أبيه أنه كان يقول يتداول الحارسان من ملائكة الله تعالى حارس الليل وحارس النهار عند طلوع الفجر وعن الضحاك في قوله تعالى {وقرآن الفجر} (الإسراء ٧٨) قال تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار يشهدون أعمال بني آدم وفي تفسير ابن أبي حاتم تشهده الملائكة والجن.....

المغفرة الربانية، ففي حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم في صحيحه و الترمذي في سننه عن النبي - ﷺ قال: (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن، ما لم تغش الكبائر) فهذه مغفرة ربانية إلهية دائمة متكررة، فكلما وقع منك قول أو خاطر أو فعل عن غفلة أو زلة أو وسواس شيطان أو استزلال هوى أو داعي شهوة فإن الله سبحانه وتعالى قد جعل في هذه الصلوات -ومنها الفجر- هذه المغفرة الربانية، وهي من أعظم هذه الغنائم التي ينبغي أن لا يفوتها العبد.(١)

البشارة النورانية: ففي حديث أنس رضي الله عنه -ويروى هذا الحديث عن ستة عشر من الصحابة بروايات مختلفة- عند أبي داود و الترمذي و ابن ماجة عن النبي - ﷺ أنه قال: (بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور

---

[١] – عمدة القاري جزء ٥ – صفحة ٤٥

التام يوم القيامة)، وما أعظم هذه البشارة بهذا النور في الوقت الذي تظلم فيه على الإنسان الظلمة الشديدة والكرب العصيب والهول العظيم،

الانطلاقة الحيوية: وهذه أيضاً غنيمة عملية دنيوية دينية وإيمانية في الوقت نفسه، وهذه أثرها واضح، وأمثلتها العملية بالكثرة التي لا تحصى، يشرحها لنا أيضاً حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - ﷺ : (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة منها فيقول: عليك ليل طويل فارقد، فإذا استيقظ- أي: النائم- فذكر الله انحلت عقدة، وإذا توضأ انحلت عنه عقدتان، فإذا صلى انحلت عقده كلها، فأصبح نشيطاً طيب النفس، و إلا أصبح خبيث النفس كسلان) رواه مسلم .

الحصانة الإلهية: وهذه أيضاً تابعة للتي قبلها، وكم يحتاج الإنسان إلى أن يحصن نفسه! فإذا كانت هذه الحصانة من الله، وإذا كان هذا الحفظ من الله فانظر -رعاك الله-كيف يكون من صلى الفجر في جماعة في سلامة وأمن وطمأنينة لا يمكن أن يحوزها أي إنسان! لأن أي إنسان سيعتمد في هذا الحفظ أو في هذه الحصانة على جهود بشرية أو على قوىً أرضية، وأنت معتمد على رب الأرباب سبحانه وتعالى، كما في حديث جندب بن سفيان عن النبي ﷺ قال: (من صلى الصبح فهو في ذمة الله، فانظر يا ابن آدم لا يطلبنك الله في ذمته بشيء) أي: هو في حفظ الله ما دام على طاعة الله.

وأعظم من تلك الغنيمة رؤية الله عز وجل: ففي حديث النبي ﷺ عند مسلم في تفسير قوله عز وجل: { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ } [يونس:٢٦] قال: (الحسنى: الجنة. ، والزيادة: النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى).

وفي حديث جرير رضي الله عنه قال: (كنا مع النبي - ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: إن إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا.

ثم قرأ: ((وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا))[طه:١٣٠]) رواه أصحاب السنن الأربع.

البركة والفلاح وهي غنيمة البركة والنجاح، في حديث جابر رضي الله عنه عن النبي - ﷺ قال: (اللهم! بارك لأمتي في بكورها) رواه الطبراني في الأوسط، قال الهيثمي : رجاله ثقات، إلا أن شيخ الطبراني لم أجد له ترجمة.

عن صخر: عن النبي - ﷺ قال " اللهم بارك لأمتي في بكورها " وكان إذا بعث سرية أو جيشا بعثهم من أول النهار وكان صخر رجلا تاجرا وكان يبعث تجارته من أول النهار فأثرى وكثر ماله ،قال أبو داود وهو صخر بن وداعة(١) .

فالذي يريد البركة لتي - افتقدها كثيرا من الناس بسبب تركهم لما شرع الله سبحانه وتعالى وهجرهم ونومهم عن صلاة الفجر في جماعة حتى أضحت المساجد تشتكي إلى الله في صلاة الفجر من قلة المصلين- فعليه بالعمل بالهدي النبوي المبارك وان يصلى الفجر في جماعة ، وتأمل إلى حال ذلك الصحابي الجليل التي امتثل إلى ما ارشد إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - فرزقه الله من حيث لا يحتسب ، انه صخر بن وداعة - رضي الله عنه ،

---

[١] – أخرجه احمد ح ١٣١٩ وأبو داود ح ٢٦٠٦ و والترمذي ح ١٢١٢ وابن ماجة ح ٢٢٣٦و قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ١٣٠٠ في صحيح الجامع

الدرس الثامن عشر

الإحسان إلى البنات

الحمد لله الذي زين قلوب أولياءه بأنوار الوفاق، وسقى أسرار أحبائه شرابا لذيذ المذاق، وألزم قلوب الخائفين الوجل والإشفاق، فلا يعلم الإنسان في أي الدواوين كتب ولا في أيّ الفرقين يساق، فأن سامح فبفضله، وان عاقب فبعدله، ولا اعتراض على الملك الخلاق.

وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلي يوم لقاءه

يا رب:

يظن الناس بي خيرا وإني أشر الناس إن لم تعف عني

ومالي حيلة إلا رجائي وجودك إن عفوت وحسن ظني

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

البشير النذير السراج المنير الذي عم نوره الأفاق، والنور الذي لا يعترض ضياءه كسوف ولا محاق، الحبيب القرب الذي أسري به على البراق، إلي إن جاوز السبع الطباق.

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

أخي المسلم أختي المسلمة: نقف في هذا اللقاء مع فضل تربية البنات والإحسان إليهن

قال بعض السلف: البُنوة نِعمة، والبنات حسنات، والله يُحاسب على النِّعمة، ويُجازي على الحسنات

كانت عادة الجاهلية الأولى كراهية البنات ودفنهن أحياء في القبور، قال عز وجل: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل: ٥٨-٥٩] ومن الذي ابتدع هذه البدعة؟ قيس بن عاصم التميمي كان بعض أعدائه أغار عليه فأسر بنته فاتخذها لنفسه، ثم حصل بينهم صلح فخير ابنته فاختارت زوجها ولم ترد أباها، فآلا قيس على نفسه أن لا تولد له بنت إلا دفنها حية فتبعه العرب في ذلك، سبحان الله، من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها،

ولذلك يروي أحد التائبين المسلمين في العهد الأول حاكياً الحال المؤلم التي كانوا عليها، إنا كنا أهل جاهلية، وعبادة أوثان فكنا نقتل الأولاد، وكانت عندي ابنة لي، فلما أجابت وكانت مسرورة بدعائي إذا دعوتها، أحبت أباها فكانت تلبي طلباته وندائه، فدعوتها يوماً فاتبعتني فمررت حتى أتيت بئراً من أهلي غير بعيد، فأخذت بيدها فرديت بها في البئر، وكان آخر عهدي بها أن تقول: يا أبتاه، يا أبتاه.رواه الدارمي.

ومع ذلك لم يرحم استغاثتها فقذفها في ذلك الطويي، وكانوا في صفة الوأد على طريقين، أحدهما: أن يأمر امرأته إذا قرب وضعها أن تطلق طلقات النفاس بجانب حفيرة، فإذا وضعت ذكراً أبقته أي: القابلة تستلمه، وإذا وضعت أنثى طرحتها في الحفيرة مباشرة، ومنهم من كان إذا بلغت البنت ست سنوات قال لأمها: طيبيها وزينيها لأزور بها أقاربها، ثم يبعد بها في الصحراء حتى يأتي البئر فيقول لها: انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويطمها

حتى إن بعضهم كان يحفر الحفرة لبنته فإذا أصاب لحيته شيء من التراب نفضته عن لحيته وهو يحفر لها ليدفنها ولا يكون في قلبه لها رحمة، وهذا يدلك على أن الجاهلية أمرها سفال، فإن الوحوش تحنو على أولادها وهي وحوش، وهؤلاء لا يحنون على أولادهم

، هكذا كانت قبائل العرب تفعل، عرب بغير إسلام بهائم، بل هم أدنى من ذلك،{ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا}{سورة الفرقان: ٤٤}.

ابشر يا أبا البنات: عن عائشة رضي الله عنها قالت جاءتني امرأة ومعها ابنتان لها فسألتني ، فلم تجد عندي شيئا غير تمرة واحدة فأعطيتها إياها ، فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها شيئا ثم قامت فخرجت وابنتاها

، فدخل علي النبي عليه الصلاة والسلام فحدثته حديثها فقال من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار.(١)

قال ابن حجر: "وفي الحديث تأكيد حقِّ البنات لما فيهن من الضعف غالبًا عن القيام بصالح أنفسهن، بخلاف الذكور لما فيهم من قوة البدن وجزالة الرأي وإمكان التصرف في الأمور المحتاج إليها في أكثر الأحوال(٢)

البنت إنسان ضعيف، وما خلقت لتستقل بنفسها، فهي غالباً بحاجة إلى من يعولها، ولما كان انتقاص البنات واحتقارهن عادة جاهلية ذميمة رغب الرسول - ﷺ في تربيتهن وإكرامهن والإحسان إليهن ووعد عليه بالأجر العظيم .

ومن تلك الحديث يتبن : -فضل تربية البنات، وإعالتهن وأنه سبب لدخول الجنة .

-حث الرسول - ﷺ على الإحسان للبنات لضعفهن وحاجتهن .

وهذا فضل عظيم لمن أبتلي بالبنات وأحسن إليهن يكون سببا في دخول الجنة ، وذكر النووي أن النبي سماه ابتلاء لأن الناس يكرهونهن في العادة .

عن عائشة قالت : قال رسول الله - ﷺ من ابتلي بشيء من البنات فصبر عليهن كن له حجابا من النار .(٣) .

(قوله : (من ابتلي بشيء من البنات)

وقال النووي تبعا لابن بطال إنما سماه ابتلاء لأن الناس يكرهون البنات فجاء الشرع بزجرهم عن ذلك ورغب في إبقائهن وترك قتلهن بما ذكر من الثواب الموعود به من أحسن إليهن وجاهد نفسه في الصبر عليهن

---

[١] – رواه مسلم

[٢] – فتح الباري.ج١٠ ص٤٤٣

[٣]– أخرجه الترمذي ح ١٩١٣ وقال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٩٣١ في صحيح الجامع

عن عائشة رضي الله عنها قالت جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهن تمرة ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار (١)

يقول النووي - رحمه الله - في هذه الأحاديث فضل الاحسان إلى البنات والنفقه عليهن والصبر عليهن وعلى سائر امورهن قوله - ﷺ (من ابتلى من البنات بشئ) إنما سماه ابتلاء لان الناس يكرهونهن في العادة قال الله تعالى واذا بشر احدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم (٢)
انظروا إلى هذا الإيثار وهذه التضحية من هذه الأم الحنون الذي جعل أم المؤمنين تعجب منه فبسبب هذا الحنان وهذه التضحية أعتقها الله من النار قال تعالى(إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا)
المعية المحمدية في الجنة :عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله - ﷺ من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو , وضم أصابعه (٣).

ومعنى عالهما قام عليهما بالمؤنة والتربية ونحوهما مأخوذ من العول وهو القرب ومنه ابدأ بمن تعول ومعناه جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين

وهذه بشارة عظيمة لمن رزقه الله البنات وأحسن إليهن وأنفق عليهن فهو مع النبي عليه الصلاة والسلام يوم القيامة ، وكفى بذلك فخرا وفضلا .
عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله - ﷺ من ولدت له أنثى

---

[١] – أخرجه أحمد ح ٢٤٦٥٥ ومسلم ح ٢٦٣٠

[٢]– شرح النووي على مسلم [جزء ١٦ – صفحة ١٧٩]

[٣] – رواه مسلم ح ٢٦٣١

فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها (أي الذكور) أدخله الله الجنة (١).

فهذا الحديث بين كيف تكون معاملة البنات أن لا يئدها ويدفنها وهي حية كما يفعل في الجاهلية أن لا يعاملها باحتقار ومهانة بل يحفظ كرامتها وعزتها ، ولا يؤثر أبناؤه الذكور عليها بل يعاملها كما يعاملهم سواء بسواء .

عن عقبة ابن عامر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله - ﷺ يقول من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته كن له حجابا من النار) (٢)

لقد بين النبي عليه السلام أن إطعام البنات ولباسهن والصبر على الإنفاق عليهن يكون ذلك حجابا له من النار .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله - ﷺ من كان له ثلاث بنات يؤويهن ويرحمهن ويكفلهن وجبت له الجنة البتة قيل يا رسول الله ، فان كانتا اثنتين ؟ قال وان كانتا اثنتين قال فرأى بعض القوم أن لو قالوا له واحدة لقال واحدة (٣) . رواه أحمد

عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله - ﷺ من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة رواه أبو داود. (٤)

فيه تأكيد حق البنات على حق البنين لضعفهن عن الاكتساب .

عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله - ﷺ لا يكون لأحد

---

[١] – أخرجه الحاكم ح ٧٣٤٨ وقال صحيح الاسناد ووافقه الذهبي وابو داود ح ٥١٤٦ و قال الشيخ الألباني : (ضعيف) انظر حديث رقم : ٥٨٠٧ في ضعيف الجامع

[٢] – أخرجه أحمد ح ١٧٤٣٩ ابن ماجه ح ٣٦٦٩ و قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٦٤٨٨ في صحيح الجامع

[٣] –– أخرجه أحمد ح ١٤٢٨٦وقال شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح وهذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد – وهو ابن جدعان – لكنه قد توبع وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين وصححه الألباني في الصحيحة ح ٢٦٧٩

[٤]– أخرجه الترمذي ح ٥١٤٧ وصححه الألباني في الصيحة ح ٢٩٤

ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو ابنتان أو أختان فيتقي الله فيهن ويحسن إليهن إلا دخل الجنة (١).

يقول المناوي - رحمه الله -(ليس أحد من أمتي) أي أمة الإجابة (يعول ثلاث بنات) أي يقوم بما يحتجنه من نحو قوت وكسوة (أو ثلاث أخوات) له (فيحسن إليهن) أي يعولهن ومع ذلك يحسن إليهن في الإقامة عليهن بأن لا يمن عليهن ولا يظهر لهن الضجر والملل ولا يحملهن ما لا يطقنه (إلا كن له سترا من النار) أي وقاية من دخول نار جهنم لأنه كما سترهن في الدنيا عن ذل السؤال وهتك الأعراض باحتياجهن إلى الغير الذي ربما جر إلى الخنا والزنا جوزي بالستر من النار جزاء وفاقا (٢)

الدرس التاسع عشر

الكلمة الطيبة

الحمد لله الذي رسم في جميع مصنوعاته على وجوده وكماله دليلا، الحي العليم السميع البصير الملك الكبير لا يدركه الوهم ولا يحده الفكر تمثيلا، تعالى ذو الملك والملكوت، لم يزل ولا يزال عظيما مقتدرا جليلا، تقدس ذو العزة والجبروت، فلا تستطيع الأوهام إليه وصولا.

---

[١] – أخرجه احمد ح ١١٤٠٢والترمذي ح ١٩١٦ والبخاري في الأدب ح٧٩ و قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٥٣٧٢ في صحيح الجامع

٢ – . فيض القدير [جزء ٥ – صفحة ٣٦٢]

واشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلي يوم لقاءه

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

فصلوا عليه وسلموا تسليما، وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

ثم أما بعد:

إخوة الإسلام : اعلموا أن من الضمانات التي بها يسعد العبد بالقرب من الرب أن يتلكم بالكلمة الرقيقة الرقراقة التي يرفع الله بها عبده في الجنة الدرجات سواء كانت هذه الكلمة أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر ، أو كلمة يقولها للإصلاح بين الناس أو يدفع بها عن عرض أخيه المسلم فإنه ينال بتلك الكلمة رضوان الله تعالى إلى يوم يلقاه

عن بلال بن الحارث المزني أن رسول الله - ﷺ قال :إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه(١)

قال أبو عمر لا أعلم خلافا في قوله - ﷺ في هذا الحديث إن الرجل ليتكلم بالكلمة أنها الكلمة عند السلطان الجائر الظالم ليرضيه بها فيما يسخط الله عز وجل ويزين له باطلا يريده من إراقة دم أو ظلم مسلم ونحو ذلك مما

[1]– أخرجه مالك ح١٧٨١ وأحمد ح١٥٨٩٠ والترمذي ح ٢٣١٩وابن ماجه ح ٣٩٦٩

ينحط به في حبل هواه فيبعد من الله وينال سخطه وكذلك الكلمة التي يرضي بها الله عز وجل عند السلطان ليصرفه عن هواه وبكفه عن معصية يريدها يبلغ بها أيضا من الله رضوانا لا يحسبه والله أعلم (١)

عن أبي هريرة: عن النبي - ﷺ قال (إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفع الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم(٢)

يقول ابن حجر - رحمه الله - ونقل عن بن وهب أن المراد بها التلفظ بالسوء والفحش ما لم يرد بذلك الجحد لأمر الله في الدين وقال القاضي عياض يحتمل أن تكون تلك الكلمة من الخنى والرفث وان تكون في التعريض بالمسلم بكبيرة أو بمجون أو استخفاف بحق النبوة والشريعة وان لم يعتقد ذلك وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام هي الكلمة التي لا يعرف القائل حسنها من قبحها قال فيحرم على الإنسان أن يتكلم بما لا يعرف حسنه من قبحه قلت وهذا الذي يجرى على قاعدة مقدمة الواجب وقال النووي في هذا الحديث حث على حفظ اللسان فينبغي لمن أراد أن ينطق أن يتدبر ما يقول قبل أن ينطق فان ظهرت فيه مصلحة تكلم و إلا امسك (٣) يقول السيوطي - رحمه الله - ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها قال النووي أي لا يتدبرها ويفكر في قبحها وما يترتب عليها كالكلمة عند السلطان وغيره من الولاة وكالكلمة بقذف أو معناه وكالكلمة التي يترتب عليها إضرار مسلم ونحو ذلك (٤) .

---

[١]– التمهيد جزء ١٣ – صفحة ٥١

[٢] – أخرجه البخاري ح ٦١١٣

[٣]– فتح الباري ج ١١ص ٣١١

[٤] – شرح السيوطي على مسلم جزء ٦ – صفحة ٢٩٤

عن أبي هريرة: أن رسول الله - ﷺ قال إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب(١)

فلو أردنا أن نحصي ونجمع ثمرات الكلام الطيب لما اتَّسع المقام؛ ولكن يكفي قليل المقال مع حسن القصد ما يغني عن الإكثار، فأقول وبالله التوفيق: من ثمرات الكلام الطيب:

أولًا: الكلام الطيب شعار ودثار أهل الإيمان، فلا ينطق المؤمن بالعوار من الكلام، فقد منحه الله الهداية في هذا المقام، فقال تعالى: ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ [الحج: ٢٤].

ثانيًا: قد خصَّ الله أهل التفرُّد بالكلام الطيب والعمل الصالح بمنزلة في الجنة هي لهم من سائر الناس، ففي حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله - ﷺ : ((إنَّ في الجنةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُها من باطِنِها، وباطِنُها من ظَاهِرِها))، فقال أبو مالِكٍ الأَشْعَرِيُّ: لِمَنْ هيَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: لِمَنْ أَطَابَ الكَلامَ، وأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وباتَ قائِمًا والناسُ نِيامٌ))؛ (٢).

ثالثًا: بمعرفة نقيض الشيء يعرف مقامه، فالكلام الفاحش وبذاءة اللسان لها أعظم الأثر في أعمال العبد، فقد تكون حجابًا مانعًا من القبول عند الله؛ ففي الحديث "قال رَجُلٌ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ فُلانةَ يُذكَرُ مِن كَثرَةِ صَلاتِها، وصيامِها، وصَدَقتِها، غَيرَ أنَّها تُؤذي جيرانَها بلِسانِها، قال: ((هي في النَّارِ))، قال: يا رسولَ اللهِ، فإنَّ فُلانةَ يُذكَرُ مِن قِلَّةِ صيامِها، وصَدَقتِها، وصلاتِها،

---

١ – أخرجه مسلم ح ٢٩٨٨

٢ – أخرجه ابن أبي شيبة ٦٢٥/٨ و١٠١/١٣، وهناد في "الزهد" (١٢٣) ، والترمذي (١٩٨٤) و (٢٥٢٧) ، وأبو يعلى (٤٢٨) ، وابن عدي في "الكامل" ١٦١٣/٤–١٦١٤ من طريقين عن عبد الرحمن بن إسحاق، به، وقال الترمذي: غريب.

وإنَّها تصَدَّقُ بالأثوارِ مِنَ الأقِط، ولا تُؤذي جيرانَها بلِسانِها، قال: ((هي في الجنَّةِ))؛ ([1]).

الكلمة الطيبة شعبة من شُعب الإيمان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله - ﷺ قال: ((مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم جارَه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه))؛ متفق عليه.([2])

الكلمة الطيبة سِمَة المؤمنين الصادقين والدعاة وشعارهم:

﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٦].

الكلمة الطيبة صدقة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - ﷺ : ((كل سُلَامَى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقةٌ، وتعين الرجلَ في دابته، فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعَه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقةٌ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة))؛ رواه البخاري ومسلم. ([3])

---

[1] – أخرجه أحمد ٤٤٠/٢ (٩٦٧٣). والبخاري" في "الأدب المفرد" ١١٩ و"ابن حِبَّان" ٥٧٦٤

[2] –– وأخرجه البخاري (٦١٣٨)، ومسلم (٤٧)، وأبو داود (٤١٥٤)، وابن ماجه (٣٩٧١). وهو في "المسند" (٧٦٢٦).

[3] –– أخرجه البخاري (٢٧٠٧) و (٢٨٩١) و (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩) (٥٦)، وابن حبان (٣٣٨١)،

قال ابن عثيمين رحمه الله: "الصدقةُ لا تختص بالمال، بل كلُّ ما يقرب إلى الله فهو صدقة بالمعنى العام؛ لأن فعلَه يدل على صدق صاحبه في طلب رضوان الله عز وجل"([1])

الدرس العشرون

الإنفاق على الأهل والعيال

[1] – شرح رياض الصالحين ١/ ٢٩٠.

الحمد لله الذي وفق العاملين لطاعته فوجدو سعيهم مشكورا، وحقق آمال الآملين برحمة فمنحهم عطاء موفورا، وبسط بساط كرمه للتائبين فأصبح وزرهم مغفورا، وأسبل من نعمه على الطالبين وابلا غزيرا، سبحانه فتح الباب للطلبين، وأظهر غناه للراغبين، وأطلق للسؤال ألسنة القاصدين، وقال في كتابه المبين ((ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين))

واشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير

يا من يجيب دعاء المضطر في الظلم يا كاشفا الضر والبلوى مع السقم

قد نام الوفد حول البيت وانتبهوا وأنت عيناك يا قيوم لم تنم

هب لنا بجودك فضل العفو عن جرمي يا من إليه أشار الخلق في الحرم

إن كان عفوك لا يدركه ذو سرف فمن يجود على العاصين بالكرم

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيب

يا سيدي يا رسول الله:

أنت الذي تستوجب التفضيلا فصلوا عليه بكرة وأصيلا

ملئت بنبوته الوجود فأظهرا بحسامه الدين الصحيح فأسفرا

ومن لم يصلي عليه كان بخيلا فصلوا عليه وسلموا تسليما

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

اعلم علمني الله وإياك : أن الله تعالى أمرنا أن ننفق على من نعول من الأبناء و الآباء و الامهات و الأزواج قال الله تعالى : (وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) [البقرة:٢٣٣] ، وقال تعالى: (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَئهَا)[الطلاق:٧]، وقال تعالى (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) [سبأ:٣٩] .

العيال: هم الذين يعولهم الإنسان من زوجة أو قريب أو مملوك، وقد سبق الكلام على حقوق الزوجة، أما الأقارب فلهم حق، قال الله تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى) [النساء: ٣٦] .

فالقريب له حق في أن ينفق عليه، يعني أن تبذل له من الطعام والشراب والكسوة والسكنى ما يقوم بكفايته، كما قال الله تعالى: (وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) المولود له هو الأب ، عليه أن ينفق على أولاده وعل زوجاته ، وعلى من أرضعت ولده ولو كانت في غير حباله ؛ لأنه قال : (وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) من أجل الإرضاع ، أما إذا كانت في حباله فلها النفقة من أجل الزوجية .

وقوله: (وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ) يشمل الأب الأدنى والأب الأعلى ؛ كالجد ومن فوقه ، فعليه أن ينفق على أولاد أولاده ، وإن نزلوا .

لكن يشترط لذلك شروط:

الشرط الأول: أن يكون المنفق قادراً على الإنفاق؛ فإن كان عاجزاً فإنه لا يجب عليه الإنفاق، لقوله تعالى: (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ

رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَهَا) أي : إلا ما أعطاها ، (آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً) [الطلاق: ٧] .

الشرط الثاني: أن يكون المنفق عليه عاجزاً عن الإنفاق على نفسه، فإن كان قادراً على الإنفاق على نفسه فنفسه أولى، ولا يجب على أحد أن ينفق عليه؛ لأنه مستغن، وإذا كان مستغنياً، فإنه لا يستحق أن ينفق عليه.

الشرط الثالث: أن يكون المنفق وارثاً للمنفق عليه؛ لقوله تعالى: (وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ) [البقرة:٢٣٣]،

فإن كان قريباً لا يرث؛ فلا يجب عليه الإنفاق.

فإذا تمت الشروط الثلاثة؛ فإنه يجب على القريب أن ينفق على قريبه ما يحتاج إليه من طعام، وشراب، ولباس، ومسكن، ونكاح، وإن كان قادراً على بعض الشيء دون بعض؛ وجب على القريب الوارث أن يكمل ما نقص؛ لعموم قوله تعالى: (وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ) [البقرة: ٢٣٣] .

ثم ذكر المؤلف ثلاث آيات: الآية الأولى قول الله تبارك وتعالى: (وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) [البقرة: من الآية٢٣٣] ، والآية الثانية : (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ)[الطلاق:٧]، والآية الثالثة قوله تعالى:(وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) [سبأ: ٣٩] .

فقوله: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ) أي شيء يكون قد أنفقتموه لله عز وجل (فَهُوَ يُخْلِفُه) أي يعطيكم خلفه وبدله وهو خير الرازقين .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - ﷺ ((دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجر الذي أنفقته على أهلك)) [١] .

وعن أبي عبد الله . ويقال له: أبو عبد الرحمن . ثوبان ابن بجدد مولى رسول الله - ﷺ قال : قال رسول الله - ﷺ ((أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله ، ودينار ينفقه على دابته في سبيل الله ، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله)) رواه مسلم [٢] .

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، هل لي أجر في بني أبي سلمة أن أتفق عليهم، ولست بتاركتهم هكذا وهكذا إنما هم بنيّ؟ فقال:((نعم لك أجر ما أنفقت عليهم)) [٣]

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في حديثه الطويل الذي قدمناه في أول الكتاب في باب النية أن رسول الله - ﷺ قال له : ((وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها ، حتى ما تجعل في فيَ امرأتك)) متفق عليه [٤] .

---

[١] – رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال . . .، رقم (٩٩٥)

[٢] – رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال . . .، رقم (٩٩٤)

[٣] – رواه البخاري، كتاب النفقات، باب وعلى الوارث مثل ذلك، رقم (٥٣٦٩) ، ومسلم ، كتاب الزكاة باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين، رقم (١٠٠١).

[٤] – رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب رثاء النبي صلى الله عليه وسلم سعد، رقم (١٢٩٥) ، ومسلم ، كتاب الوصية ، باب الوصية بالثلث ، رقم (١٦٢٨

وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه، عن النبي - ﷺ قال: ((إذا انفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهي له صدقة)) متفق عليه [١] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله - ﷺ: ((كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت)) [٢]

ورواه مسلم في صحيحه بمعناه قال: ((كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته)) [٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي - ﷺ قال : قال ((ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً)) متفق عليه [٤] .

وعنه عن النبي - ﷺ قال : ((اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول ، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله)) رواه البخاري [٥] .

---

[١]– رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب ما جاء إن الأعمال بالنية . . .، رقم (٥٥)، ومسلم، كتاب الزكاة ، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين . . . ، رقم (١٠٠٢)

[٢] – رواه أبو داود، كتاب الزكاة، باب فضل في صلة الرحم، رقم (١٦٩٢)

[٣] – رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال. رقم (٩٩٦)

[٤] – رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى) ، رقم (١٤٤٢) ، ومسلم ، كتاب ، الزكاة ، باب في المنفق والممسك ، رقم (١٠١٠)

[٥] – رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، رقم (١٤٢٨)

الدرس الحادي والعشرون

إياكم ودعوة المظلوم

الحمد لله الذي تفرد بعز كبريائه عن إدراك البصائر، وتقدس بوصف علاه عن الأشباه والنظائر، وتوحد بكمال جبروته فلا العقل في تعظيمه حائر، وتفرد في ملكوته فهو الواحد القهار الأول قبل كل أول الأخر بعد كل أخر، الظاهر بما أبدع فدليل وجوده ظاهر، الباطن فلا يخفى عليه ما هجس في الضمائر.

وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلي يوم لقاءه

يا حبيب القلب ما لي سواك فارحم اليوم مذنبا أتاكا

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

اختاره من أطيب العناصر، واصطفاه من أنجب العشائر، واختصه من أشرف الذخائر، وأدار على من عاده أفظع الدوائر.

يا سيدي يا رسول الله:

رباك ربك جل من رباك ورعاك في كنف الهدى وحماك

سبحانه أعطاك فيض فضائل لم يعطها في العالمين سواك

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

عن أنس. إياكم و دعوة المظلوم و إن كانت من كافر فإنه ليس لها حجاب دون الله عز و جل .([١])

أولاً: تعريف وبيان: تعريف الظلم شرعا:

الظلم: التصرّف في حقّ الغير بغير حقّ، أو مجاوزة الحق.

وقيل: الظلم عبارة عن التعدّي عن الحق إلى الباطل، وهو الجور.

وقيل: وضع الشيء بغير محله بنقص أو زيادة أو عدول عن زمنه.

وقيل: الظلم وضع الشيء في غير موضعه، والتصرف في حقّ الغير، ومجاوزة حدّ الشارع.([٢])

ثانياً: الله تعالى حرم الظلم على نفسه:

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} [النساء:٤٠]. وقال تعالى: {وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَالَمِينَ} [آل عمران:١٠٨].

عن أبي ذر - رضي الله عنه - ، عن النبي - ﷺ فيما يروي عن ربه - عز وجل - أنه قال : ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا))([١])

[١] – قال الألباني (حسن) انظر حديث رقم : ٢٦٨٢ في صحيح الجامع .

[٢] – جامع العلوم والحكم (٢١١). التعريفات للجرجاني (٤٨).التوقيف على مهمات التعاريف (٢٣١).الكليات (٥٩٤).

قال الطحاوي في عقيدته: "يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبداً".

يقول ابن أبي العز وقوله: " يفعل ما يشاء، وهو غير ظالم أبدا " -الذي دل عليه القرآن من تنزيه الله نفسه عن ظلم العباد ، يقتضي قولا وسطا بين قولي القدرية والجبرية ، فليس ما كان من بني آدم ظلما وقبيحا يكون منه ظلما وقبيحا ، كما تقوله القدرية والمعتزلة ونحوهم ! فإن ذلك تمثيل لله بخلقه! وقياس له عليهم! هو الرب الغني القادر، وهم العباد الفقراء المقهورون. وليس الظلم عبارة عن الممتنع الذي لا يدخل تحت القدرة، كما يقوله من يقوله من المتكلمين وغيرهم، يقولون: إنه يمتنع أن يكون في الممكن المقدور ظلم ! بل كل ما كان ممكنا فهو منه - لو فعله - عدل ، إذ الظلم لا يكون إلا من مأمور من غيره منهي ، والله ليس كذلك . فإن قوله تعالى : { وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا } (طه ١١٢) ، وقوله تعالى : { مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } (ق ٢٩) وقوله تعالى : { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ } (الزخرف ٧٦ .) ، وقوله تعالى : { وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا } (الكهف ٤٩) ، وقوله تعالى : { الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ } (غافر ١٧ .) - يدل (٢) على نقيض هذا القول. ومنه قوله الذي رواه عنه رسوله: « يا عبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا » . فهذا دل على شيئين:

---

[١] – أخرجه مسلم ح ١٧/٨ (٢٥٧٧) (٥٥) من طريق أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر ، به . وأخرجه: معمر في " جامعه " (٢٠٢٧٢) ، والطيالسي (٤٦٣) ، وأحمد ١٥٤/٥ و١٦٠ و١٧٧ ، وهناد في " الزهد " (٩٠٥) ، والبخاري في " الأدب المفرد " (٤٩٠) ، وابن ماجه (٤٢٥٧) ، والترمذي (٢٤٩٥) ، والبزار (٤٠٥١) و(٤٠٥٢) و(٤٠٥٣) ، وابن حبان (٦١٩) ، والطبراني في " مسند الشاميين " (٣٣٨) و(٢٨١١) ، والحاكم ٢٤١/٤، وأبو نعيم في "الحلية" ١٢٥/٥ — ١٢٦ ، والبيهقي ٩٣/٦ ، وفي " شعب الإيمان " ، له (٧٠٨٨) ، والخطيب في " تاريخه " ٢٠٣/٧ — ٢٠٤ .

أحدهما: أنه حرم على نفسه الظلم، والممتنع لا يوصف بذلك.

الثاني: أنه أخبر أنه حرمه على نفسه، كما أخبر أنه كتب على نفسه الرحمة ، وهذا يبطل احتجاجهم بأن الظلم لا يكون إلا من مأمور منهي ، والله ليس كذلك . فيقال لهم: هو سبحانه كتب على نفسه الرحمة ، وحرم على نفسه الظلم ، وإنما كتب على نفسه وحرم على نفسه ما هو قادر عليه ، لا ما هو ممتنع عليه . وأيضا: فإن قوله : { فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا } (طه ١١٢) - قد فسره السلف ، بأن الظلم : أن توضع عليه سيئات غيره ، والهضم : أن ينقص من حسناته ، كما قال تعالى : { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } (٤) .

يدل»، وأنا أرجح أن زيادة «وذلك » إما من الناسخ ، وإما من الطابع ! غفلة عن ربط الجملة.) (١)

: تحريم الظلم والتحذير منه:

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله - ﷺ لا تحاسدوا ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ها هنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرار، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه(٢)

في حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي - ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى أنه قال: ((يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا...(٣)).

---

١ – شرح العقيدة الطحاوية (٦٥٩–٦٦١).

٢ –صحيح. رواه مسلم (٢٥٦٤).

٣ – سبق تخريجه

تحريم الله الظلم على نفسه:

يقول الشيخ عطية سالم رحمه الله - يقول سبحانه وهو الملك القادر القاهر، وهو رب العزة وبيده نواصي الخلق، ولا يسأل عما يفعل، يقول: (حرمت الظلم على نفسي)، مع أنه سبحانه لم يتوجه إليه ظلم؛ لأن الظلم هو: وضع الشيء في غير موضعه، أو تصرف المالك في غير ملكه.

فإذا كان الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، فالمولى سبحانه لا يضع شيئاً إلا في موضعه.

وإذا كان الظلم هو تصرف الإنسان في غير ما يملك؛ فالله يملك الكون كله، وكل تصرف من الله فهو في ملكه وخلقه أينما كانوا.

إذاً: لا يتوجه إلى الله ظلم، ولا حاجة إلى النقاش في ذلك، لكن هل الظلم ممكن في حق الله أو ليس بممكن؟ إن الله يخبرنا: (إني حرمت) أي: منعت وتنزهت عن أن أظلم، مع أنه لا يسأل عما يفعل.

تحريم التظالم بين العباد:

(وجعلته بينكم محرماً) لماذا؟ لأنهم عباده، فإذا كان هو لا يظلم، ولو وقع منه ظلم فإنما يقع على عباده؛ لكنه لا يظلم عباده لأنه يرحمهم، فكيف يقبل من غيره أن يظلمهم؟! ثم قال: (فلا تظّالموا)، بصيغة المبالغة، لأنه قد يقع بعض الظلم دونما علم، والرواية الأخرى: (فلا تظالموا)، بدون تضعيف، أي: لا يظلم بعضكم بعضاً.

وإذا وقفنا عند هذا النداء الأول، وهو: النهي عن الظلم بين الخلق، وكان الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، أو المصطلح عليه عند الناس: أن

الظلم هو الاعتداء على حقوق الآخرين، والتصرف في ملك الآخرين بغير إذنهم.

يقول علماء التوجيه والتربية والتشريع: ما فنيت أمة إلا تحت سوط الظلم، وما وقعت مصائب في أمة ولا ابتليت بأمراض ولا ببلايا ولا بفناء نهائي إلا بسبب الظلم.

ويقولون: إن رفع الظلم عرف في التاريخ من آلاف السنين، والعالم بأسره كان يحذر الظلم ويتجنبه، وبعض الملوك كان يجعل له نافذة ويكتب عليها: نافذة المظالم، وكل من كانت له مظلمة من عامل أو خادم أو أي شخص له سطوة أو سلطة كتب ظلامته وألقاها؛ لأن عماله كانوا لا يبلغونه مظالم الأمة، فكان يتولاها بنفسه.

موقف الرسول - ﷺ من الظلم:

وجاء الإسلام وبيّن لنا صلى الله عليه وسلم، وبيّن لنا القرآن أن: (الظلم ظلمات يوم القيامة)؛ فإذا كان الأمر كذلك فإن أولى من يراعي قضية الظلم والعدالة: المسلم؛ لأن الله سبحانه يخبره بأنه تكرم وحرم الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرماً ونهاهم أن يرتكبوا ذلك: (فلا تظالموا).

ونحن نعلم ما جاء في التاريخ الإسلامي من العدالة، وأول تمثيل للعدالة كان في عهد سيد الخلق - ﷺ ، وذلك حينما يستيعذ بالله من أن يظلم أو يُظلم أو يبغي أو يبغى عليه.

وفي موقف من أحرج مواقف الإسلام في أرض المعركة في بدر وقوة العدو ضعف قوة المسلمين، والمسلمون إنما خرجوا لأخذ عير لا شوكة لهم، ويصف النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين لتتقابل قوة الحق مع قوة الباطل قوة الإسلام بنوره وقوة الكفر والشرك بظلامه وضلاله، ويسوي

النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين كما يسوون صفوف الصلاة لتراصهم: { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ } [الصف:٤] ، فجاء في السيرة بأنه عدّل رجلاً بالقضيب في يده هكذا على بطنه، فقال: (أوجعتني يا رسول الله! فيكشف - ﷺ عن بطنه ويعطيه القضيب، ويقول له: اقتد لنفسك مني).

وكان من حقه ﷺ أن يعدل الصفوف، ولو كان مكانه أي قائد في معركة كهذه أو أي جندي وقال كلمة مثل هذه ربما صفعه على وجهه، نحن لسنا في وقت المزاح، ولكن الرسول - ﷺ وفي هذا الموقف يكشف عن بطنه ويعطيه القضيب، ويقول له: خذ حقك مني، فيهوي على بطنه - ﷺفيقبله، فيقول له: هذا هو حدك! قال: نعم يا رسول الله، قال: هذه حيلة! ما الذي حملك عليها، قال: يا رسول الله! الموقف كما ترى بين الحياة والموت، فأحببت أن يكون آخر عهدي من الدنيا بك يا رسول الله.

الذي يهمنا: أن الرسول ﷺ يقدم نفسه لأحد أصحابه في أحد المواقف، ويقول له: (خذ حقك مني) فهل يبقى هناك مثال للعدالة فوق هذا؟ لا والله! النصوص المتضافرة عنه صلى الله عليه وسلم في القضاء والشهادة والتحذير من شهادة الزور إلى غير ذلك كثيرة، ويأتي من بعده الخلفاء الراشدون، ويأتي عمر رضي الله تعالى عنه ويتكلم ويخطب للأمة كلها، ويتولى المظالم بنفسه، إلى حد أن يقول: (لو أن شاة بجذلة كسرت رجلها لكان عمر مسئولاً عنها)، ويتتبع الناس في الليل، ويسمع العجوز تشتكي ويسألها: (ما سيرة عمر فيكم؟ تقول: عمر لا جزاه الله خيراً، لماذا؟ لأننا جياع وهو غافل عنا! قال: وما يدري عمر عنك، قالت: كيف يكون أميراً على الناس ولا يدري عن بعض الأفراد؟ وبعد أن يذهب ويأتيها بالمال

والطعام يقول: بيعي عليّ مظلمتك عند عمر غداً، قالت: ولماذا؟ قال: إني مشفق عليه من النار).

رد عمر بن عبد العزيز للمظالم:

لما تولى عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه الخلافة ما ترك شيئاً اسمه ظلم في بيت المال إلا ورده على أهله، من هذا العمل الخيّر تزدهر الحياة في زمن عمر خلال سنتين أصلح فيها ما أفسد من كان قبله.

ويعم الله الأرض بالخير، ويرسل عامله إلى إفريقيا لتفريق الزكاة، فيوزع من الزكاة ما يغني الفقراء، ويقول العامل: بقي عندي مال من الزكاة، ماذا أفعل به؟ فيقول: انظر هل من مدين فاقض دينه؟ فيبعث إليه أنه بقي عندي، فيقول: انظر هل من غريب فأرسله إلى بلده، يقول: بقي عندي، فيقول: انظر هل من أعزب فزوجه! هكذا كان بيت المال وفيراً بالمال إلى حد أن يسد حاجة الأفراد والجماعات بفضل الله، ثم بإقامة العدل ورد المظالم.

ثم من بعد عمر بن عبد العزيز وبعد الدولة الأموية وأوائل العصر العباسي وأواخر العصر الأموي كثر الظلم من العمال، فأنشأ ديوان المظالم أو قاضي المظالم؛ لينظر في ظلم العمال للرعية.)([1])

[1] – شرح الأربعين النووية – ص٩ –١٣)

الدرس الثاني والعشرون

خطر الميثاق

الحمد لله الحكيم الرؤوف الرحيم الذي لا تخيب لديه الآمال، يعلم ما أضمر العبد من السر وما أخفى منه ما لم يخطر ببال، ويسمع همس الأصوات وحس دهس الخطوات في وعس الرمال، وير حركة الذر في جانب البر وما درج في البحر عند تلاطم الأمواج وتراكم الأهوال، أفلا يستحي العبد الحقير من مبارزة الملك الكبير بقبح الأفعال

وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير

الكل تحت قهره ونظره في جميع الأحوال، فتبارك من وفق من شاء لخدمته فشتان ما بين رجال ورجال عبد الله: يا مسكين:

يا غافلا والجليل يحرسه من كل سوء يدب في الظلم

كيف تنام العيون عن ملك تأتيه منه فوائد النعم

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيب

أنت الذي لما رفعة إلي السما أنت الذي ناداك ربك مرحبا

ولقد دعاك لقربه وحباك ماذا يقول المادحون وما عسى

أن تجمع الكتاب من معناك صلى عليك الله يا علم الهدى

ما اشتاق مشتاق إلى رؤياك

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

أعلم علمني الله وإياك: ونبهني الله وإياك من نومة الغافلين. أن من الأخطار التي تجعل قلب العبد يفرق خوفا وفزعا ما قدره الباري جل شأنه في الأزل وكتب على عباده يوم أن خلق آدم عليه السلام وأستخرج ذريته من ظهره ثم جعلهم قسمين لا ثلاث لهم: أهل السعادة والهناء من خلق لهم دار البقاء وهم أهل الجنة وقال هؤلاء للجنة ولا أبالي: ثم خلق و أستخرج خلقا آخرين وقال فيهم هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون ...إنه خطر عظيم لا يغفل عنه إلا من هو سادر في غفلته راضي بشقوته.

استخرج ذرية آدم من ظهره بعد خلقه وقسمهم إلي قسمين أهل الجنة وأهل النار فقد أخبرنا رسولنا - ﷺ أن الله مسح ظهر آدم بعد خلقه له واستخرج ذريته من ظهره أمثال الذر، واستخرج منهم أهل الجنة وأهل النار . روي مالك والترمذي وأبو داود عن مسلم بن يسار قال :سئل عمر بن الخطاب ﷺ عن هذه الآية {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ

إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ } [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣] "

قال عمر: سمعت رسول الله - ﷺ يسأل عنها فقال " إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه ، فاستخرج من ذريته فقال : هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذريه ، فقال : هؤلاء أهل النار وبعمل أهل النار يعملون ".

فقال رجل ففيم العمل؟

فقال رسول الله - ﷺ إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة ، حتى يموت علي عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل بها الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت علي عمل من أعمال أهل النار ، فيدخل به النار "[١] روي الأمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح إلي ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله - ﷺ أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان – يعني بعرفة – فأخرج من صلبه كل ذريه ذراها فنثرهم بين يديه كالذر ، ثم كلمهم قال

{ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ } [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣] وروي أحمد في مسنده بإسناد صحيح عن أبي الدرداء عن النبي - ﷺ قال : وخلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمني فأخرج ذريته بيضاء ، كأنهم الذر ، وضرب كتفه اليسرى

١–مشكاة المصابيح ١–٣٤ ورقم الحديث ٩٥، قال الألباني فيه، رجال إسناده ثقات رجال الشيخين غير أنها منقطع بين مسلم بن يسار وعمر لكن له شواهد كثيرة. أ.هـ.

فأخرج ذريته سوداء كأنهم الحمم ، فقال للذي في يمينه إلى الجنة ولا أبالي ،وقال للذي في كتفه اليسرى : إلي النار ولا أبالي " .

وبين الرسول - ﷺ في حديث آخر" أن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمه فألقي عليهم من نوره ، فمن أصابه من ذلك النور اهتدي ومن أخطأه ضل فذلك أقول جف القلم علي علم الله (١)

وروي الأمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال " يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرأيت لو كان لك ماء في الأرض من شيء أكنت مفتديا به ؟ قال: فيقول نعم .قال: فيقول قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تشرك بي شيئا و أخرجاه في الصحيحين وللعلماء ، في معني الأخذ ومدلوله أقوال نذكرها بحول الله وطوله : يقول ابن كثير رحمة الله : بعد أن ذكر الأدلة والآثار : فهذه الأحاديث داله علي أن الله عز وجل أستخرج ذرية آدم من صلبه وميز بين أهل الجنة وأهل النار ، وأما الأشهاد عليهم هناك بأنه ربهم فما هو إلا في حديث كلثوم بن جبير عن سعيد بن جبير عن بن عباس وفي حديث عبد الله بن عمرو ،وقد بينا أنهما موقوفان لا مرفوعان كما تقدم ومن ثم قال القائلون من السلف والخلف أن المراد بالأشهاد إنما هو فطرة على التوحيد كما تقدم من حديث أبي هريرة و عياض بن حمار المجاشعي ومن رواية الحسن البصري عن الأسود ابن سريع وقد فسر الحسن الآية بذلك

قالوا ولهذا قال " وإذا أخذ ربك من بني آدم " ولم يقل من آدم " من ظهورهم " ولم يقل من ظهره ، " ذرياتهم " أي جعل نسلهم جيل بعد جيل وقرنا بعد قرن كقوله تعالي {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ } [الأنعام:

---

١ – رواه الترمذي ٢٦/٥ ورقم الحديث ٢٦٤٢، وقال فيه حديث حسن، عن عبد الله بن عمر

١٦٥] وقال ﴿ {وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ } [النمل: ٦٢] النمل ٦٢. وقال { كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ} [الأنعام: ١٣٣] ثم قال{ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ } أي أوجدهم شاهدين بذلك قائلين له حالا وقال الشهادة تارة تكون بالقول كقوله " قالوا شهدنا الآية .

قال ابن القيم في كتاب (الروح): قال ابن الأنباري: مذهب أهل الحديث وكبراء أهل العلم في هذه الآية أن الله أخرج ذرية آدم من صلبه وأصلاب أولاده وهم في صور الذر فأخذ عليهم الميثاق أنه خالقهم وأنهم مصنوعون، فاعترفوا بذلك وقبلوا، وذلك بعد أن ركب فيهم عقولا عرفوا بها ما عرض عليهم، كما جعل للجبل عقلا حين خوطب، وكما فعل ذلك بالبعير لما سجد والنخلة حتى سمعت وانقادت حين دعيت. وقال الجرجانى: ليس بين قول النبي - ﷺ : "إن الله مسح ظهر آدم فأخرج منه ذريته" وبين الآية اختلاف بحمد الله؛ لأنه عز و جل إذا أخذهم من ظهر آدم فقد أخذهم من ظهور ذريته، لأن ذرية آدم لذريته بعضهم من بعض، وقوله تعالى: (أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) أي عن الميثاق المأخوذ عليهم، فإذا قالوا ذلك كانت الملائكة شهودا عليهم بأخذ الميثاق .. قال: وزعم بعض أهل العلم أن الميثاق إنما أخذ على الأرواح دون الأجساد، إن الأرواح هي التي تعقل وتفهم ولها الثواب وعليها العقاب، والأجساد أموات لا تعقل ولا تفهم، قال: وكان إسحاق بن راهويه يذهب إلى هذا المعنى، وذكر أنه قول أبي هريرة، قال إسحاق: وأجمع أهل العلم أنها الأرواح قبل الأجساد، استنطقهم وأشهدهم. اهـ.

فهذا أول الأخطار التي ينبغي للعبد أن يستحضره في قلبه ويجعله نصب عينه فينشأ عن ذلك الخوف من الله والخوف من سوء الخاتمة، ومن أخاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل.

فإياك أن يسهوا قلبك عن خطر الميثاق حتى لا تندم وأنت في السياق وعندها تلتفت الساق بالساق فيا أيها العبد أفق ولا تغتر بصحة والشباب فكم من مريض مات من غير علة. وكم من صحيح عاش حنيا من الدهر فكيف لا يخاف من قلبه بيد المقلب، من ظن أن عمر يسلم، من ظن أن برصيصا يكفر؟

الدرس الثالث والعشرون

خطر الظلمات الثلاث.

الحمد لله الذي لا يسأل عما يفعل، فلا تيأس من رحمته ولا تعجل، فسبحانه من أقبل بجوده وبره على من رجع إليه وأقبل، ورأى زلة المسيء وجنح الظلام مسبل، فعامله برأفته وتجاوز عنه برحمته وأمهل، وجعل للقبول والفضل أوقاتا ليتدارك المقصر ما ضيّع وأهمل.

وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة عبد خضع لهيبه وتذلل

يا من عليه مدى الأيام معتمدي إليك وجهت وجهي لا إلي أحد

أنت المجيب لمن يدعوك يا لأملي يا عدتي يا شفائي ويا سندي

يا ملك الملك يا معطي الجزيل لمن يرجو نداه بلا حصر ولا عدد

ما لي سواك وما لي غير بابك يا مولاي فامح بعفوك ما جنته يدي

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيب

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

خطر الظلمات الثلاث. حين خلق في ظلمات ثلاث فنودي الملك بالشقاء والسعادة ولا يدري أمن الأشقياء هو أم من السعداء ؟!

فمن غفل قلبه عن ذلك فلا يأمن الشقاء.

ورد في الأحاديث أن الله يرسل ملكا للجنين في رحم أمه فيكتب رزقه وأجله وشقاءه وسعادته .

ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال " إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما فيكون عقله مثل ذلك ، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ، فو الذي لا إله غيره إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ([1]).

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي - ﷺ قال : وكل الله بالرحم ملكا فيقول : أي رب نطفة أي رب علقه ، أي رب مضغة ،

[1] – رواه البخاري انظر لفتح ١١/ ٤٧٧ ومسلم رقم ٤٣٢٦.

فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال : أي رب ذكر أم أنثي ، أشقي أم سعيد ؛ فما الرزق ؛ فما الأجل ؛ فيكتب كل ذلك في بطن أمه [١]

وروي الترمذى في سننه عن أنس قال: قال رسول الله - ﷺ إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله ، فقيل : كيف يستعمله يا رسول الله ؛ قال : يوفقه لعمل صالح قبل أن يموت (٢)

روي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - ﷺ . إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له بعمل أهل الجنة.(٣)

و تأمل ثبتني الله وإياك علي طريق الهدي والرشاد، حال ذلك الرجل الذي بجهاد في ميدان المعركة ويقتل شهيد ولكنه سبق عليه الكتاب فعمل بعمل أهل النار والعياذ بالله فعن أبي حازم عن سهل بن سعد أن رجلا من أعظم المسلمين غناء في غزوة غزاها مع النبي- ﷺ فنظر النبي - ﷺ فقال : من أحب أن ينظر إلي رجل من أهل النار فلينظر إلي هذا فأتبعه رجل من القوم وهو علي تلك الحال من أشد الناس علي المشركين حتى جرح فاستعجل الموت ، فجعل ذبابة سيفه بين ثدييه حتى خرج من بين كتفيه. فأقبل الرجل إلي رسول الله مسرعا فقال أشهد أنك رسول الله !!!

فقال: وما ذاك؛

[١]– رواه البخاري، وفتح الباري ١١/ ٤٧٧، ومسلم رقم ٢٦٤٦ والفظ البخاري.

[٢] – رواه الترمذي في سننه رقم ٢١٤٢ وقال حسن صحيح

[٣] – رواة مسلم رقم ٢٦٥١.

قال: قلت لفلان من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إليه وكان من أعظمها غناء عن المسلمين فعرفت أنه لا يموت علي ذلك فلما جرح استعجل الموت فقتل نفسه.

فقال النبي - ﷺ عند ذلك " إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار ، وإنما الأعمال بالخواتيم " ([١])

وأخرج أحمد: وابن حبان وصححه عن أنس قال رضي الله عنه : قال رسول الله- ﷺ (لا عليكم أن لا تعجبوا بعمل أحد حتى تنظروا بم يختم له فإن العامل يعمل زمانا من عمره بعمل صالح لو مات عليه دخل الجنة ، ثم يتحول فيعمل عملا سيئا) ([٢])

وعند أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله- ﷺ : إن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة وهو مكتوب في الكتاب الأول من أهل النار ، فإذا كان قبل موته تحول فعمل عمل أهل النار فمات فدخلها ([٣]) .

قال الحافظ بن حجر: قال عن أبن أبي جمرة نفع الله به: هذه التي قطعت أعناق الرجال مع ما هم فيه من حسن الحال لأنهم لا يدرون بما يختم لهم ، وفيه أن عموم مثل قوله تعالي {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٧]. مخصوص بمن مات على ذلك وأن من عمل السعادة وختم له بالشقاء فهو في طول عمره عند الله شقي، وبالعكس، وما ورد مما يخالفه

---

[١] – رواه البخاري رقم ٦٦٠٧.

[٢] – أخرجه أحمد وابن حيان وصححه والحافظ في الفتح جـ ١١ص ٤٩٦.

[٣] – أخرجه أحمد وذكر الحافظ في الفتح ١١– ٤٩٦.

يؤول إلى أن يؤول إلى هذا ،.. وفيه أن تقدير الأعمال ما هو سابق ولاحق فالسابق ما في علم الله تعالى، واللاحق ما يقدر على الجنين في بطن أمه كما وقع في الحديث، وهذا هو الذي يقبل النسخ، وأما ما وقع في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا " كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض، بخمسين ألف سنه " فهو محمول على كتبه ذلك في اللوح المحفوظ على وفق ما في علم الله سبحانه وتعالى.... وفيه الحث علي الاستعاذة بالله تعالى من سوء الخاتمة، وقد عمل به جمع جم من السلف وأئمة الخلف وأما ما قال عبد الحق في " كتاب العاقبة " أن سوء الخاتمة لا يقع لمن استقام باطنه وصلح ظاهرة وإنما يقع لمن في طويته فساد أو ارتياب ويكثر وقوعه للمصر على الكبائر والمجتري علي العظائم فيهجم عليه الموت بغتة فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة، فقد يكون ذلك سببا من الأسباب لسوء الخاتمة نسأل الله السلامة ، فهو محمول على الاكثر والأغلب .... وفيه " أن الأقدار غالبة والعاقبة غائبة فلا ينبغي لأحد أن يغتر بظاهر الحال، ومن ثم شرع الدعاء بالثبات على الدين وبحسن الخاتمة " . أ .هـ

فكيف يليق بعاقل أن يسهو ويغفل عن ذلك الخطر الخطير وعن ذلك الأمر العظيم فالعاقل هو الذي يستحضر ذلك الخطر في باله.

الدرس الرابع والعشرون

موانع الخشوع في الصلاة

الحمد لله شهدت بوجوده آياته الباهرة، ودلت على كرم جوده نعمه الباطنة والظاهرة، وسبحت بحمده الأفلاك الدائرة، والرياح السائرة، والسحب الماطرة، هو الأول فله الخلق والأمر، والأخر فإليه الرجوع يوم الحشر، هو الظاهر فله الحكم والقهر، هو الباطن فله السر والجهر

أشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو علي كل شيء قدير

أنشأتني ورحمتني وسترتني أحسن فأنت المحسن المفضال

ما لي سواك وأنت غاية مقصدي والحق أنت وما عداك ضلال

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

إذا سار سار النور معه، وإذا نام فيّح الطيب مضجعه، وإذا تكلم كانت الحكمة مرفعه

هو المختار من البرايا هو الهادي البشير هو الرسول

عليه من المهيمن كل وقت صلاة دائما فيها القبول

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

في هذا الدرس نقف مع الموانع التي تحول بين المرء و البين الخشوع في الصلاة حتى يبتعد عنها العبد و حتى يرق قلبه و تخشع جوارحه فهنالك كثير من تلك الموانع الحائلة عن خشوع القلب و عدم وجود المسلم لذة العبادة فصلاة لا خشوع فيها لا لذة لها و لا اثر لها في حياة صاحبها واليك أخي الحبيب تلك الموانع و كيفية التخلص منها:

أولا: الصلاة حاقناً أو حاقباً أو حازقاً والصلاة بحضرة طعام:

من الأمور التي تبعد العبد وتشغل البال أن يصلى المرء وهو حاقنا أو حاقبا أو حازقنا

والصلاة حاقناً: بالنون أي بالبول. أو حاقباً: أي بالغائط. أو حازقا: أي بالريح.

لقد نهى النبي عن ذلك لان هذه الأمور الثلاثة تشغل الفكر وتشتت ذهن العبد فيبتعد عن ساحة الخضوع والخشوع بقدر انشغاله بهذه الأشياء

عن ابن أبي عتيق قال تحدثت أنا والقاسم عند عائشة رضي الله عنها حديثا وكان القاسم رجلا لحانة وكان لأم ولد فقالت له عائشة ما لك لا تحدث كما يتحدث ابن أخي هذا أما إني قد علمت من أين أتيت هذا أدبته أمه وأنت أدبتك أمك قال فغضب القاسم وأضب عليها فلما رأى مائدة عائشة قد أتي بها قام قالت أين قال أصلي قالت اجلس قال إني أصلي قالت اجلس غدر إني سمعت رسول الله - ﷺ يقول لا صلاة بحضرة الطعام ولا هو يدافعه الأخبثان (١)

(بحضرة الطعام): أي عند حضور طعام تتوق نفسه إليه، أي لا تقام الصلاة في موضع حضر فيه الطعام، وهو يريد أكله، وهو عام للنفل والفرض والجائع وغيره وفيه دليل صريح على كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال لاشتغال القلب به

(الأخبثان): فاعل يدافع وهو البول والغائط، أي لا صلاة حاصلة للمصلي حالة يدافعه الأخبثان وهو يدافعهما لاشتغال القلب به وذهاب الخشوع، ويلحق به كل ما هو في معناه مما يشغل القلب ويذهب كمال الخشوع، وأما الصلاة بحضرة الطعام فيه مذاهب منهم من ذهب إلى وجوب تقديم الأكل على الصلاة، ومنهم من قال إنه مندوب ومن قيد ذلك بالحاجة ومن لم يقيد، ويجيء بعض بيان ذلك إن شاء الله تعالى في موضعه.(٢)

وللفقهاء في ذلك تفصيل متى يكره ومتى لا:

توقان الطعام الحاضر أو القريب الحضور أي: اشتهائه بحيث يختل الخشوع لو قدم الصلاة عليه.

---

١ – رواه مسلم (٥٦٠)، وأبو داود (٨٩).

٢ – عون المعبود – (ج ١ / ص ١١٢)

و لأمره ﷺ : بتقديم العشاء على العشاء . ويأكل ما يتوفر معه خشوعه. فإن لم يتوفر إلا بالشبع شبع. ومحل ذلك إن وسع الوقت أيضا وإلا صلى فورا وجوباً (١) ".

ثانيا: ترك الورع والاشتغال بعلم الكلام:

من موانع الخشوع أكل الحرام والوقوع في الشبهات وعدم الاحتراز للدين فالحلال ما حل بيديه وإن كان حراما والحرام ما بعد عنه وان كان حلال إذ كيف يخشع قلب اجترئ على أكل المحرمات ومعصية رب الأرض والسماوات فالحلال أسنان الخشوع.

كان سهل بن عبد الله يقول: " غفل في الناس أشياء، فنُزع منهم الخشوع بتركهم الورع، ويذهب منهم العلم بإظهار الكلام، ويضيعون الفرائض باجتهادهم في النوافل، ويصير نقض العهود وتضييع الأمانة وارتفاعها من بينهم علما، ويرفع من بين المنسوبين إلى الصلاح في آخر الزمان علم الخشية وعلم الورع وعلم المراقبة، فيكون بدل علم الخشية وساوس الدنيا. وبدل علم الورع وساوس العدو. وبدل علم المراقبة حديث النفس ووساوسها.

قيل: ولم ذلك يا أبا محمد؟ قال: يغفل في القراء دعوى التوكل والحب والمقامات، ترى أحدهم يصوم ويصلي عشرين سنة، وهو يأكل الربا، ولا يحفظ لسانه من الغيبة ولا عينه وجوارحه مما نهى الله عنه (٢)"

ثالثا: الجدل وكما يُحرَم الخشوع من كثر كلامه، كذلك يحرمه من كثر جدله

---

١ المنهج القويم ج: ١ ص: ٢٥٢ ، ٢٥٣

٢ حلية الأولياء ج: ١٠ ص: ٢٠٦

عن الأوزاعي أنه كتب إلى الحكم بن غيلان القيسي: " ودع من الجدال ما يفتن القلب، وينبت الضغينة ، ويجفي القلب ، ويرق الورع في المنطق والفعل ...وليعنِك ما عَنى الصالحين قبلك فإنه قد أعظمهم ثقل الساعة ، فجرت على خدودهم من الخشوع دموعهم ، وطووا من خوف على ظمأ مناهلهم ، ... نسأل الله أن يرزقنا وإياك علما نافعا ، وخشوعا يؤمننا به من الفزع الأكبر.. إنه أرحم الراحمين .. والسلام عليك(١) "

رابعا: أن يصلي وقد غلبه النّعاس: وعلم علمني الله و إياك: أن من موانع حضور القلب في الصلاة حضور النوم و مغالبته و مدافعته فإن لك يشغل العبد عن التفكر فيما يقرأ التدبر فيما يقول لذا نهى النبي - ﷺ عن الصلاة عند مغالبة النوم

عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله - ﷺ : إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ [فِي الصَّلاةِ]، فَلْيَنَمْ، حَتَّى يَعْلَمَ مَا يَقْرَأُ (٢).

يقول ابن بطال-رحمه الله -قال المهلب: قوله - ﷺ : إذا نعس أحدكم فليرقد - ، هو في صلاة الليل، لأن صلوات الفرض ليست من نهاية الطول، ولا في أوقات النوم فيحدث فيها مثل هذا، وقد ذكر ﷺ العلة الموجبة لقطع الصلاة، وذلك أنه خاف عليه إذا غلب عليه النوم أن يخلط الاستغفار بالسب.

قال المهلب: ومن صار في مثل هذه الحال من ثِقَلِ النوم فقد انتقض وضوءه بإجماع، فأشبه من نهاه الله تعالى عن مقاربة الصلاة فى حال

---

١ حلية الأولياء ج: ٦ ص: ١٤١

٢ – أخرجه أحمد (١٠٠/٣). و رواه البخاري ح٢١٠ و النسائى فى الكبرى (تحفة الأشراف) (٩٥٣)

السكر بقوله تعالى: {لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ} [النساء: ٤٣].

وقد قال الضحاك في تأويل قوله تعالى: {وَأَنتُمْ سُكَارَى} أنه النوم.

والأكثر أنها نزلت في سكر الخمر، وبَيَّن حديث عائشة، وحديث أنس في هذا أن المعنى واحد، لأن من أراد أن يستغفر ربه فيسب نفسه، فقد حصل من فقد العقل في منزلة من لا يعلم ما يقول من سكر الخمر التي نهى الله تعالى عن مقاربة الصلاة فيها، ومن كان كذلك فلا تجوز صلاته، لأنه فقد عقله الذي خاطب الله أهله بالصلاة والفرائض، ورفع الخطاب بذلك والتكليف عمن عدمه ودلت الآية على ما دل عليه الحديثان، أنه لا ينبغى للمصلى أن يقرب الصلاة مع شاغل له عنها، أو حائل بينه وبينها، لتكون همه لا هم له غيرها، وأن من استثقل نومه فعليه الوضوء، وهذا يدل أن النوم اليسير بخلاف ذلك.

وأجمع الفقهاء على أن النوم القليل الذي لا يزيل العقل لا ينقض الوضوء، إلا المزني وحده، فإنه جعل قليل النوم وكثيره حدثًا، وخرق الإجماع.

وكذلك أجمعوا أن نوم المضطجع ينقض الوضوء.)([1])

وقد جاء ذكر السبب في ذلك عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّى فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ رَاقِدٌ، لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ) .)([2])

[1] – شرح ابن بطال –(ج ١ / ص ٣٤١)

[2] أخرجه مالك في الموطأ (٩٣). والحميدى (١٨٥) وأحمد (٥٦/٦) والدارمى (١٣٩٠) والبخاري (٦٣/١ومسلم (١٩٠/٢) وأبو داود (١٣١٠٠) وابن ماجة (١٣٧٠)

يقول بدر الدين العيني – رحمه الله -قوله: " يستغفر" بمعنى يدعو هاهنا ، قاله القاضي

* فيه حث على الإقبال على الصلاة بخشوع، وفراغ قلب ونشاط، وفيه أمر الناعس بالنوم أو نحوه مما يذهب عنه النعاس، وهذا عام في صلاة الفرض والنفل، في الليل والنهار، وهذا مذهب الجمهور، لكن لا يخرج فريضة عن وقتها. قال القاضي: وحمله مالك وجماعة على نفل الليل؛ لأنها محل النوم غالباً.([١])

خامسا: أن يصلي خلف المتحدث أو (النائم) فيشغل ذلك خاطره:

عبد الله بن عباس أن النبي - ﷺ قال لا تصلوا خلف النائم ولا المتحدث ([٢])

لأن المتحدث يلهي بحديثه والنائم قد يبدو منه ما يلهي.

قال الخطابي رحمه الله: " أما الصلاة إلى المتحدثين فقد كرهها الشافعي وأحمد بن حنبل وذلك من أجل أن كلامهم يُشغل المصلي عن صلاته " ([٣]).

أما أدلة النهي عن الصلاة خلف النائم فقد ضعّفها عدد من أهل العلم منهم أبو داود في سننه كتاب الصلاة: تفريع أبواب الوتر: باب الدعاء، وابن حجر في فتح الباري شرح باب الصلاة خلف النائم: كتاب الصلاة

---

[١] – شرح أبي داود للعيني –(ج ٥ / ص ٢١٧)

[٢] – أخرجه أبو داود رقم ٦٩٤ وهو في صحيح الجامع رقم ٣٧٥ و قال حديث حسن. (٣٢/١) و البيهقي في معرفة السنن و الاثار ح ١١٢٧ و النووي في خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام –(ج ١ / ص ٥٢٧)

[٣] – عون المعبود ٣٨٨/٢

وقال البخاري -رحمه الله تعالى -في صحيحه: باب الصلاة خلف النائم ، وساق حديث عائشة : كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وأنا راقدة معترضة على فراشه .. " وكره مجاهد وطاوس ومالك الصلاة إلى النائم خشية أن يبدو منه ما يلهي المصلي عن صلاته .." فتح الباري الموضع السابق.

فإذا أُمن ذلك فلا تُكره الصلاة خلف النائم والله أعلم.

سادسا: الصلاة في قارعة الطريق:

ومن موانع الخشوع الصلاة في قارعة الطريق أو الأماكن التي يكثر فيها المارة فإن ذلك شوش عليه ذهنه ويُذهب خشوعه فعلى المصلي ان يبتعد عن كل ما يحول بينه وبين الخشوع في صلاته وللعلماء في تلك المسالة كلام أسوقه للبيان والإيضاح

قال فقهاء الشافعية:

« فصل. ولا يصلى في قارعة الطريق. "

عن سالم عن أبيه أن النبي - ﷺ نهى أن يصلى على قارعة الطريق أو يضرب الخلاء عليها أو يبال فيها(١)

، ولأنه يمنع الناس من الممر، وينقطع خشوعه بممر الناس. فإن صلى فيه صحت صلاته لأن: المنع لترك الخشوع، أو لمنع الناس من الطريق. وذلك لا يوجب بطلان الصلاة (٢).

فقالوا إنه مكروه لأن يفقد الخشوع.

---

١ – أخرجه ابن ماجه ح رواه ابن ماجة (ح/٣٣٠) والطبراني (٢٨١/١٢) . قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي في الزوائد: إسناده ضعيف، ولكن المتن له شواهد صحيحة،وكذا ضعفه الشيخ الألباني. انظر: ضعيف| بن ماجة (ح/٧٢) والإرواء (١٠١/١–١٠٢،٣١٩) .

٢ المهذب ج: ١ ص: ٦٤

سابعا: أن يكون في ثوبه أو مصلاه صوراً أو نقوشاً:

أن يرتدي المرء من الثياب ما يشغل بصره و يصرف قلبه اليه لأن ذلك يشغل بصره فيلهيه عن الذكر والتلاوة -وهو ينافي الأدب مع الله وبين يديه -فيفقد الخشوع وقد قال الله – جل وعلا – ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ [الأحزاب: ٤]

وقال صاحب المهذب: ويكره أن ينظر إلى ما يلهيه لما روت عائشة - رضي الله عنها - قالت : " كان رسول الله - ﷺ يصلي وعليه خميصة (١) ذات أعلام . فلما فرغ قال: " ألهتني أعلام هذه اذهبوا بها إلى أبي الجهم وأتوني بأنبجانيته(٢) [٣] ").

قال ابن بطال – رحمه الله: النظر في الصلاة إلى الشيء إذا لم يقدح في الركوع والسجود لا يفسد الصلاة، وإن كان مكروهًا كل ما يشغل المصلى عن صلاته ويلهيه عن الخشوع، فلما شغلته عليه السلام، عن بعض خشوعه تشاءم بها وردها،

وقال سفيان بن عيينة: إنما رد رسول الله الخميصة إلى أبى جهم؛ لأنها كانت سبب غفلته وشغله عن ذكر الله، كما قال: «اخرجوا عن هذا الوادى الذى أصابكم فيه الغفلة، فإنه وادٍ به شيطان»، قال: ولم يكن رسول الله - ﷺ ليبعث إلى غيره بشيء يكرهه لنفسه؛ ألا ترى قوله عليه السلام، لعائشة في الضب: « إنا لا نتصدق بما لا نأكل » ، وكان رسول الله - ﷺ أقوى

---

١ – الخميصة: ثوب أسود أو أحمر له أعلام

٢ – الأنبجانية: كساء يتخذ من الصوف وهو من أدون الثياب الغليظة منسوب إلى موضع اسمه أنبجان

٣ المهذب ج: ١ ص: ٨٨

خلق الله على دفع الوسوسة، ولكن كرهها لدفع الوسوسة كما قال لعائشة: « أميطي عنا قرامك، فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي » .([١])

وفى ردّه - ﷺ الخميصة تنبيه منه وإعلام أنه يجب على أبى جهم من اجتنابها في الصلاة مثلما وجب على النبي؛ لأن أبا جهم أحرى أن يعرض له من الشغل بها أكثر مما خشي الرسول، ولم يُرد النبي برد الخميصة عليه منعه من تملكها ولباسها في غير الصلاة، وإنما معناها كمعنى الحُلة التي أهداها لعمر بن الخطاب، وحرَّم عليه لباسها وأباح له الانتفاع بها وبيعها.

وفيه دليل: أن الواهب والمُهدى إذا ردت عليه هديته من غير أن يكون هو الراجع فيها، فله أن يقبلها؛ إذ لا عار عليه في قبولها.

وفيه: أن النبي آنس أبا جهم ردها إليه بأن سأله ثوبًا مكانها يعلمه أنه لم يرد عليه هديته استخفافًا به، ولا كراهة لكسبه. ([٢])

[١] – أخرجه أحمد (١٥١/٣و « البخاري » (١٠٥/١)

[٢] – شرح ابن بطال لصحيح البخاري

الدرس الخامس والعشرون

موانع الخشوع في الصلاة (٢)

الحمد لله رب العالمين سبحانه سبحانه سبحان الذي في السماء عرشه، سبحان الذي في الأرض حكمه، سبحان الذي في القبر قضائه، سبحان الذي في البحر سبيله، سبحانه في النار سلطانه، سبحان الذي في الجنة رحمته، سبحان الذي في القيامة عدله

وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة من قال ربى الله ثم استقام تقرب لعباده برأفته ورحمته، ونور قلوب عباده بهدايته،

سبحان من ملأ الوجود أدلة ليلوح ما اخفى بما أبداه

سبحان من ظهر الجميع بنوره فيه يرى أشياء من صفاه

سبحان من أحيا قلوب عباده بلوائح من فيض نور هداه

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

والله ما في الخلق مثل محمد في الفضل والجود والأخلاق

فهو النبي الهاشمي المصطفى من خيرة الأنساب من عدنان

لو حاول الشعراء وصف محمد وأتو بأشعار من الأوزان

ماذا يقول الواصفون لأحمد بعد الذي جاء في القرآن

وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

إخوة الإسلام مازال الحديث موصولا عن موانع الخشوع التي تحول بين العبد وبين الاقبال على الرب سبحانه وتعالى ..... ومن ذلك:

اولا: العبث ببدنه أو ثوبه أو غيره: عبث بلحيته ، أو فكر بقلبه فكرا فاسدا أو أصلح ثوبا أو حمل صبيا أو ثقلا فهو على صلاته ، ولا سجود للسهو عليه. ولو تجنب ذلك كله كان أخشع (١) " .

ثانيا: القيام على هيئة غير مشروعة: فيحرم الاختصار – أي وضع الدين في الوسط - بل التزام السنة أدعى للخشوع لذلك قالوا " ويكره ... والقيام على رجل واحدة وتقديمها على الأخرى ولصقها بالأخرى حيث لا عذر لأنه تكلف ينافي الخشوع ولا بأس بالاستراحة على إحداهما لطول القيام أو نحوه[٢] " .

ثالثا: الانشغال بتسوية الحصى:

١ الإقناع للماوردي ج: ١ ص: ٤٥، ٤٦

٢ المنهج القويم ج: ١ ص: ٢٥٢

عن معيقيب رضي الله عنه (أن النبي - ﷺ قال في الرجل يسوي التراب حيث يسجد قال : إن كنت فاعلا فواحدة) (١)

قال رسول الله- ﷺ : (لا تمسَح وأنت تصلي فإن كنتَ لا بدَّ فاعِلا فواحدة) يعني تسوية الحصى .)(٢)

والعلة في هذا النهي؛ المحافظة على الخشوع ولئلا يكثر العمل في الصلاة. والأَولى إذا كان موضع سجوده يحتاج إلى تسوية فليسوه قبل الدخول في الصلاة.

ويدخل في الكراهية مسح الجبهة والأنف وقد سجد النبي - ﷺ في ماء وطين وبقي أثر ذلك في جبهته ولم يكن ينشغل في كل رفع من السجود بإزالة ما علق فالاستغراق في الصلاة والخشوع فيها ينسي ذلك ويشغل عنه عن عبد الله رضي الله عنه قال: "كنا نسلم على النبي - ﷺ وهو في الصلاة فيرد علينا فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا وقال إن في الصلاة شغلا) (٣)

قد روى ابن أبي شيبة عن أبي الدرداء قال: ما أحب أن لي حمر النعم وأني مسحت مكان جبيني من الحصى . وقال عياض: كره السلف مسح الجبهة في الصلاة قبل الانصراف. (٤)يعني الانصراف من الصلاة.

---

١ – أخرجه أحمد (٤٢٦/٣) و (٤٢٥/٥) والدارمى والبخاري (٨٠/٢) ١٣٩٤٠ومسلم (٧٤/٢) وأبو داود (٩٤٦) وابن خزيمة (٨٩٥).

٢ – رواه أبو داود رقم ٩٤٦ و هو في صحيح الجامع رقم ٧٤٥٢

٣ – رواه البخاري (١١٩٩)، (١٢١٦) ومسلم ١/ ٣٨٢ وأبو داود (٩٢٣) والبيهقي ٢/ ٢٤٨

٤ – الفتح ٣/ ٧٩.

وكما أن المصلي ينبغي أن يحترز مما يشغله عن صلاته كما مرّ في النقاط السابقة فكذلك عليه أن يلتزم بعدم التشويش على المصلين الآخرين ومن ذلك:

رابعا: التشويش بالقراءة على الآخرين:

و من موانع الخشوع أن يشوش بعض المصلين على بعض فيقرأ بصوت مرتفع لذا جاء النهي من النبي - ﷺ – عن ذلك

عن أبي سعيد قال: اعْتكَفَ رسولُ الله في المسْجِد، فَسمعهم يجهرون بالقراءَة فكَشَفَ السِّتْرَ وقال " ألا إن كُلَكُمْ يُناجِي ربهَ، فلا يُؤذيَنْ بَعْضُكُم بَعضًا، ولا يَرْفَعُ بَعْضُكُم عَلى بَعضٍ فِي القِراءَةِ " أو قال: " في الصلاةِ "(١)

خامسا: الإلتفات في الصلاة:

واعلم أن من موانع الخشوع الإلتفات إلى غير رب الأرض والسماوات فمن أعرض، أعرض الله عنه و الجزاء من جنس العمل

قال أبو ذر: قال رسولُ الله: "لا يَزَالُ الله عز وجل مُقبلاً على العبد وهو في صلاتِهِ ما لم يَلتفت، فإذا التَفتَ انصرفَ عنه"(٢)

عن مسروق، عن عائشةَ قالت: سألتُ رسولَ اللهِ عن التفات الرجل في صَلاته فقال: " هو اخْتلاس يختلسُهُ الشيطانُ من صَلاةِ اَلعَبْدِ"(٣)

قوله: " اختلاس" لما من خلستُ الشيءَ واختلستُه إذا سلبته، والمعنى: أن المُصلي إذا التفت يمينا أو شمالا يظفرُ به الشيطان في ذلك الوقت،

---

١ – رواه أبو داود ٢ /٨٣ و هو في صحيح الجامع رقم ٧٥٢ رواه الإمام أحمد ٣٦/٢ وهو في صحيح الجامع ١٩٥١ .

٢ – رواه أبو داود رقم ٩٠٩ وهو في صحيح أبي داود .

٣ – أخرجه الحميدى (١٧٢) وأحمد (٣٧/٦) والبخاري (١٠٤/١) ومسلم (٧٧/٢) وأبو داود (٩١٤ وابن ماجة (٣٥٥٠) والنسائى (٧٢/٢) وفى الكبرى (٧٥٨)

ويُشْغله عن العبادة، فربما يَسْهو أو يَغلط لعدم حضور قلبه باشتغاله بغير المقصود، ولما كان هذا الفعل غير مَرضي منه نُسب إلى الشيطان. وعن هذا قالت العلماء بكراهة الالتفات في الصلاة. ـ وروى أبو بكر بن أبي شيبة، عن وكيع، عن حطان العصفري، عن الحكم قال: إن من تمام الصلاة: أن لا تعرف مَنْ عن يمينك ولا مَن عن شمالك.

عن ابن جريج، عن عطاء قال: سمعت أبا هريرة يقولُ: إذا صليت فإن ربك أمامك وأنت مُناجيه، فلا تلتفت. قال عطاء: وبلغني أن الرب يقول: "يا ابن آدم، إلى من تلتفتُ؟ أنا خير لك ممن تلتفت إليه".)([1])

يقول ابن بطال – رحمه الله -الإلتفات في الصلاة مكروه عند العلماء، وذلك أنه إذا أومأ ببصره وثنى عنقه يمينًا وشمالاً ترك الإقبال على صلاته، ومن فعل ذلك فقد فارق الخشوع المأمور به في الصلاة، ولذلك جعله النبي اختلاسًا للشيطان من الصلاة، وأما إذا التفت لأمرٍ يَعِنُّ له من أمر الصلاة أو غيرها فمباح له ذلك وليس من الشيطان، والله أعلم.

وقال المهلب: قوله: « هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد » ، هو حض على إحضار المصلى ذهنه ونيته لمناجاة ربه، ولا يشتغل بأمر دنياه، وذلك أن العبد لا يستطيع أن يخلص صلاته من الفكر في أمور دنياه؛ لأن الرسول قد أخبر أن الشيطان يأتي إليه في صلاته، فيقول له: اذكر كذا اذكر كذا؛ لأن موكل به في ذلك، وقد قال عليه السلام: « من صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له » ، وهذا لمغالبته الإنسان، فمن جاهد شيطانه ونفسه وجبت له الجنة، وقد نظر عليه السلام، إلى أعلام الخميصة وقال: « إنها شغلتنى » ، فهذا مما لا يستطاع على دفعه فى الأعم، وقد

[1] – شرح أبي داود للعيني – (ج ٤ / ص ١٣٤)

اختلف السلف في ذلك فممن كان لا يلتفت في الصلاة أبو بكر وعمر، وقال ابن مسعود: إن الله لا يزال مقبلاً على العبد ما دام في صلاته ما لم يحدث أو يلتفت.

ونهى عنه أبو الدرداء، وأبو هريرة، وقال عمرو بن دينار: رأيت ابن الزبير يصلى فى الحجر، فجاءه حجر قدامه فذهب بطرف ثوبه، فما التفت.

وقال ابن أبى مليكة: إن ابن الزبير كان يصلى بالناس، فدخل سيل فى المسجد فما أنكر الناس من صلاته شيئًا حتى فرغ منها.

وقال الحكم: من تأمل من يمينه أو شماله في الصلاة حتى يعرفه فليست له صلاة، وقال أبو ثور: إن التفت ببدنه كله أفسد صلاته(١).

أنواع الالتفات في الصلاة قسمان:

الأول: التفات القلب إلى غير الله عز وجل.

الثاني: التفات البصر، وكلاهما منهي عنه وينقص من أجر الصلاة،وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال : (اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد)

" ومثل من يلتفت في صلاته ببصره أو قلبه مثل رجل استدعاه السلطان فأوقفه بين يديه وأقبل يناديه ويخاطبه وهو في خلال ذلك يلتفت عن السلطان يمينا وشمالا، وقد انصرف قلبه عن السلطان فلا يفهم ما يخاطبه به لأن قلبه ليس حاضرا معه فما ظنّ هذا الرجل أن يفعل به السلطان؟ .

أفليس أقل المراتب في حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتا مبعدا قد سقط من عينيه، فهذا المصلي لا يستوي والحاضر القلب المقبل على الله

---

١ – شرح ابن بطال – (ج ٣ / ص ٤٥٠)

تعالى في صلاته الذي قد أشعر قلبه عظمة من هو واقف بين يديه فامتلأ قلبه من هيبته وذلت عنقه له ، واستحيى من ربه أن يقبل على غيره أو يلتفت عنه وبين صلاتيهما كما قال حسان بن عطية : إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة ، وإن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض ، وذلك أن أحدهما مقبل بقلبه على الله عز وجل والآخر ساه غافل "([١]).

حكم الالتفات لضرورة أو لحاجة فلا بأس به،

عن سهل بن الحنظلية قال: (ثوب بالصلاة -صلاة الصبح - فجعل رسول الله - ﷺ يصلي وهو يلتفت إلى الشعب) . قال أبو داود : (وكان أرسل فارسا من الليل إلى الشعب يحرس) ([٢]).

وهذا كحمله أمامة بنت أبي العاص، ..... وفتحه الباب لعائشة ونزوله من المنبر لما صلى بهم يعلمهم، وتأخره في صلاة الكسوف، وإمساكه الشيطان وخنقه لما أراد أن يقطع صلاته ، وأمره بقتل الحية والعقرب في الصلاة ، وأمره بردّ المار بين يدي المصلي ومقاتلته ، وأمره النساء بالتصفيق وإشارته في الصلاة وغير ذلك من الأفعال التي تُفعل لحاجة ، ولو كانت لغير حاجة كانت من العبث - المنافي للخشوع - المنهي عنه في الصلاة " .([٣]).

سابعا: رفع البصر إلى السماء:

ومن موانع الخشوع النظر إلى السماء فانه منهي عنه ومتوعد صاحبه بخطف البصر

---

[١] – الوابل الصيب لابن القيم .دار البيان ص : ٣٦ .

[٢] أخرجه أبو داود ح

[٣] – مجموع الفتاوى ٥٥٩/٢٢

وقد ورد النهي عن ذلك والوعيد على فعله في قوله عن أنس بن مالك حدثهم قال: قال النبي - ﷺ ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم (١)

عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله - ﷺ لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لا ترجع إليهم (٢)

يقول بد الدين العيني – رحمه الله -فيه النهي الأكيد والوعيد الشديد وكان ذلك يقتضي أن يكون حراما كما جزم به ابن حزم حتى قال تفسد صلاته ولكن الإجماع انعقد على كراهته في الصلاة والخلاف في خارج الصلاة عند الدعاء وقد ذكرناه عن قريب وقال شريح لرجل رآه يرفع بصره ويده إلى السماء اكفف يدك واخفض بصرك فإنك لن تراه ولن تناله (فإن قلت) إذا غمض عينيه في الصلاة ما حكمه (قلت) قال الطحاوي كرهه أصحابنا وقال مالك لا بأس به في الفريضة والنافلة وقال النووي والمختار أنه لا يكره إذا لم يخف

ضررا لأنه يجمع الخشوع ويمنع من إرسال البصر وتفريق الذهن وروي عن ابن عباس كان النبي إذا استفتح الصلاة لم ينظر إلا إلى موضع سجوده)(٣)

وذكر الطبري عن إبراهيم التيمى أنه قال: كان يكره أن يرفع الرجل بصره إلى السماء في الدعاء، يعنى: في غير الصلاة.

---

١ – أخرجه أحمد (١٠٩/٣) وفى (١١٢/٣ و١١٥ و١١٦) وعبد بن حميد (١١٩٦) والدارمى (١٣٠٧والبخارى (١٩١/١) وأبو داود (٩١٣وابن ماجة (١٠٤٤). والنسائى (٧/٣) وفى الكبرى (٤٥٧

٢ – أخرجه أحمد ح ٨٠٥٦ والدارمي ح ١٦٢٢و مسلم ح ٦٤٩و الترمذي ح ٣٨٩٠و النسائي ح ٣٨٩٠و ابن ماجه ح ١٠٣٥

٣ – عمدة القاري [جزء ٥ – صفحة ٣٠٩]

وقال محمد بن سيرين: "كان رسول الله - ﷺ - يرفع بصره في الصلاة فلما نزلت هذه الآية قد {أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون } لم يكن يجاوز بصره موضع سجوده" .([١])

فلما كان رفع البصر إلى السماء ينافى الخشوع حرمه النبي - ﷺ - وتوعد عليه

من كان يحب للمصلي أن يكون بصره حذاء موضع سجوده:

عن أبي قلابة قال سألت مسلم بن يسار أين منتهى البصر في الصلاة فقال إن حيث حسن.

عن إبراهيم النخعي أنه كان يحب للمصلي أن لا يجاوز بصره موضع سجوده.

عن ابن سيرين أنه كان يحب أن يضع الرجل بصره حذاء موضع سجوده فإن لم يفعل أو كلمة نحوها فليغمض عينيه.

عن ليث عن مجاهد أنه أنه كره أن يصلي الرجل وهو مغمض العين.

عن جميل بن عبيد قال سمعت الحسن وسأله رجل أغمض عيني إذا سجدت فقال إن شئت.

عن جميل قال سمعت الحسن وسئل عن الرجل يغمض عينيه وهو ساجد في الصلاة قال لا بأس به.([٢])

ثامنا: الإخلال بالركوع والسجود:

---

[١] – رواه الإمام أحمد في كتاب الناسخ والمنسوخ

[٢] – مصنف ابن أبي شيبة – (ج ٢ / ص ١٦٢)

ومن الموانع التي تحول بين المرء وبين الخشوع في الصلاة نقر الصلاة و عدم إتمام أركانها لذا أمر النبيﷺ من لم يتم الركوع و القيام بإعادة الصلاة مرة ثانية

قال أبو هريرة: أن النبي ﷺ دخل المسجد، فدخل رجل، فصلى، ثم جاء، فسلم على النبي، فرد النبي - ﷺ - عليه السلام، فقال: « ارجع، فصل، فإنك لم تصل، فصلى، ثم جاء إلى النبي، فقال: ارجع، فصل، فإنك لم تصل، ثلاثا، فقال: والذي بعثك بالحق فما أحسن غيره، فعلمني، قال: إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعا، ثم ارفع حتى تعتدل قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها » .)([1])

يقول ابن بطال – رحمه الله -: استدل بهذا الحديث جماعة من الفقهاء، فقالوا: الطمأنينة في الركوع والسجود فرض، لا تجزئ صلاة من لم يرفع رأسه، ويعتدل في ركوعه وسجوده ثم يقيم صلبه، وقالوا: ألا ترى أن الرسول قال له: «ارجع فصل فإنك لم تصل» ، ثم علمه الصلاة وأمره بالطمأنينة في الركوع والسجود، هذا قول الثورى، وأبى يوسف، والأوزاعى، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وابن وهب صاحب مالك قال: من لم يعتدل قائما من ركوعه حتى يسجد فلا يعتد بتلك الركعة.

وفيها قول آخر، روى ابن القاسم عن مالك في «العتبية» قال: من رفع رأسه من الركوع فلم يعتدل قائما حتى يسجد يجزئه ولا يعود، وقاله ابن

[1] – أخرجه أحمد (٤٣٧/٢) والبخارى (١٩٢/١) و (٦٩/٨) ومسلم (١٠/٢) وأبو داود (٨٥٦) والترمذى (٣٠٣ والنسائى (١٢٤/٢) وفى الكبرى (٨٦٨ وابن خزيمة (٤٦١ و ٥٩٠)

القاسم فى كتاب سحنون، وروى ابن وهب عن مالك مثل ذلك في « العتبية » .

وروى عيسى عن ابن القاسم فيمن رفع رأسه من السجود، فلم يعتدل جالسا حتى سجد: يستغفر الله ولا يعود.)

يقول ابن تيمية – رحمه الله - " ... وإذا كان الخشوع في الصلاة واجبا، وهو متضمن للسكون والخشوع. فمن نقر نقر الغراب لم يخشع في سجوده، وكذلك من لم يرفع رأسه من الركوع ويستقر قبل أن ينخفض لم يسكن لأن السكون هو الطمأنينة بعينها، فمن لم يطمئن لم يسكن ، ومن لم يسكن لم يخشع في ركوعه ولا في سجوده ، ومن لم يخشع كان آثما عاصيا[١] » .

عن عبد الله بن أبى قتادة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ أسوء الناس سرقة الذي يسرق صلاته قالوا يا رسول الله كيف يسرق صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها ([٢])

عن حذيفة: « أنه رأى رجلا لا يتم ركوعه ولا سجوده، فلما قضى صلاته قال له حذيفة: ما صليت، قال: وأحسبه، قال: لو مت مت على غير سنة محمد » ([٣]).

عن زيد بن وهب قال: « رأى حذيفة - رضي الله عنه - رجلا يصلى، فطفف، فقال له حذيفة: منذ كم تصلى هذه الصلاة ؟ قال: منذ أربعين

---

[١] مجموع الفتاوى ج: ٢٢ ص: ٥٥٨

[٢] – السنن الكبرى للبيهقي – (ج ٢ / ص ٣٨٦)

[٣] – أخرجه أحمد (٣٨٤/٥) والبخارى (٢٠٠/١) وأخرجه النسائى (٥٨/٣) وفى الكبرى (٥٢١ و ١١٤٤)

سنة، قال: ما صليت منذ أربعين سنة، ولو مت وأنت تصلى هذه الصلاة، مت على غير فطرة محمد ﷺ، ثم قال: إن الرجل ليخفف ويتم ويحسن »

تاسعا: تكلف الدعاء يذهب الخشوع:

قال بعض السلف»: إذا جاء الأعراب ذهب الخشوع » . هذا كما يكره تكلف السجع في الدعاء، فإذا وقع بغير تكلف فلا بأس به. فإن أصل الدعاء من القلب واللسان تابع للقلب. ومن جعل همته في الدعاء تقويم لسانه أضعف توجه قلبه، ولهذا يدعو المضطر بقلبه دعاء يفتح عليه لا يحضره قبل ذلك. وهذا أمر يجده كل مؤمن في قلبه.

والدعاء يجوز بالعربية وبغير العربية، والله سبحانه يعلم قصد الداعي ومراده ، وإن لم يقوم لسانه ، فإنه يعلم ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تنوع الحاجات[١] ".

عاشرا: التثاؤب في الصلاة:

قال رسول الله ﷺ : (إذا تثاءَب أحدُكم في الصلاة فليكظِم ما استطاع فإن الشيطان يدخل)([٢]) .. وإذا دخل الشيطان يكون أقدر على التشويش على خشوع المصلي بالإضافة إلى أنه يضحك من المصلي إذا تثاءب .

[١] مجموع الفتاوى ج: ٢٢ ص: ٤٨٩

[٢] – رواه مسلم ٢٢٩٣/٤

الدرس السادس والعشرون

ثمرات الاستقامة

الحمد لله الذي تفرد بجلال ملكوته، وتوحد بجمال جبروته وتعزز بعلو أحديته، وتقدس بسمو صمديته، وتكبر في ذاته عن مضارعة كل نظير، وتنزه في صفائه عن كل تناه وقصور، له الصفات المختصة بحقه، والآيات الناطقة بأنه غير مشبه بخلقه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير، شهادة موقن بتوحيده، مستجير بحسن تأييده

يا واحد في ملكه أنت الأحد ولقد علمت بأنك الفرد الصمد

لا أنت مولود ولست بوالد كلا ولا لك في الورى كفوا أحد

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

هذا النبي محمد خير الورى ونبيهم وبه تشرف آدم

وله البها وله الحياء بوجهه كل الغنى من نوره يتقسم

يا فوز من صلى عليه فانه في جنة المأوى غدا يتنعم

صلى عليه الله جل جلاله ما راح حاد باسمه يترنم

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

فإنَّ الاستِقامة هي لُزُوم طاعة الله عزَّ وجلَّ، وطاعة الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم، ومن جوامِع كلام الرسول ﷺ : قولُه للصحابي سفيان بن عبد الله رضِي الله عنْه حين سألَه قائلًا: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرَك، فقال ﷺ : ((قُلْ: آمنتُ بالله، ثم استقِمْ))؛ ([1])؛ أي: استَقِم بعد الإيمان بالله، وهو لُزُوم طاعة الله، حيث لا يجدك حيث نَهاك، ولا يفقدك حيث أمرك.

حقيقة الاستقامة:

حديث عظيم يشرح فيه النبي ﷺ حقيقة الاستقامة شرحًا عمليًّا مفصلًا؛ فقد روى الترمذي والنسائي وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع عن النواس بن سمعان رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: ((ضربَ اللهُ تعالى مثلًا صراطًا مستقيمًا، وعلى جنْبَتَيِ الصراطِ سورانِ، فيهما أبوابٌ مُفَتَّحَةٌ، وعلَى الأبوابِ ستورٌ مُرْخَاةٌ، وعلى بابِ الصراطِ داعٍ يقولُ: يا أيُّها الناسُ، ادخلوا الصراطَ جميعًا ولا تَعْوَجُّوا، وداعٍ يدعُو مِنْ فَوْقِ الصراطِ، فإذا أرادَ الإنسانُ أنْ يفتحَ شيئًا مِنْ تِلْكَ الأبْوابِ قالَ: وَيْحَكَ لا تَفْتَحْهُ، فإنَّكَ إنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، فالصراطُ الإسلامُ، والسُّورانِ حدودُ اللهِ، والأبوابُ الْمُفَتَّحَةُ محارِمُ اللهِ تعالى، وذلِكَ الدَّاعِي على رأسِ الصراطِ كتابُ اللهِ، والداعي مِنْ فوقٍ واعظُ اللهِ في قلْبِ كُلِّ مسلِمٍ)).([2])

---

[1] – أخرجه مسلم في الصحيح ١/ ٦٥، كتاب الإيمان (١)، باب جامع أوصاف الإسلام (١٣)، الحديث (٦٢/ ٣٨).

[2] – أخرجه أحمد (١٨٢/٤، رقم ١٧٦٧١) ، والحاكم (١٤٤/١، رقم ٢٤٥) وقال: صحيح على شرط مسلم ولا أعرف له علة. والبيهقى فى شعب الإيمان (٤٤٥/٥، رقم ٧٢١٦) . وأخرجه أيضًا: الترمذى (١٤٤/٥، رقم ٢٨٥٩) وقال: غريب. والنسائى فى الكبرى (٣٦١/٦، رقم ١١٢٣٣)

الثَّبَاتُ على الدِّينِ: فإنَّ مَنِ استقامَ ثَبَتَ، ومَنْ ثَبَتَ نَبَت، ومَنْ نَبَتَ أثْمَرَ، ولَمَّا قال سُفْيَانُ الثَّقَفِيُّ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللَّهِ! حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ. قَالَ له: «قُلْ رَبِّيَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ» (١)

الاستقامة استجابة لأمر الله ورسوله قال تعالى {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [هود: ١١٢]

عن عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لاَ يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ " (٢)

الاستقامة سبب للفوز بولاية الله تعالى قال تعالى {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [يونس: ٦٢ - ٦٤]

فمن هم أولياء الله؟

من كان مؤمنا بالله تقيا. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ قال: "إنَّ اللَّه تعالى قال: مَنْ عَادَى لي وَليًّا فقد آذَنْتُهُ بالحربِ، وما تَقَرَّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترَضْتُ عليهِ، وما يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أَحببتُهُ، كنتُ سَمْعَهُ الذي يَسمعُ به، وبصرَهُ الذي يُبصِرُ به، ويدَه التي يبطشُ بها، ورجلَه التي يمشي بها، وإن سألني لأعطِيَنَّهُ،

---

١ – أخرجه مسلم في الصحيح ١/ ٦٥، كتاب الإيمان (١)، باب جامع أوصاف الإسلام (١٣)، الحديث (٦٢/ ٣٨).

٢ – أخرجه البخاري في: ٨١ كتاب الرقاق: ١٨ باب القصد والمداومة على العمل

ولئنْ استعاذَ بي لأعيذَنَّه، وما تردَّدتُ عن شيء أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نفسِ المؤمنِ، يَكْرَهُ الموتَ، وأنا أَكْرَهُ مَسَاءَتَه، ولا بُدَّ له مِنه" (١)

الاستقامة لحاق بركب الأنبياء والصالحين والصدقين والشهداء

قال تعالى {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء: ٦٩] "

الاستقامة سبب لحسن الخاتمة فقد تكفل الله للمستقيمين المهتدين بحسن الختام عن معاذ - رضي الله عنه - ، قَالَ : قَالَ رسول الله ﷺ : ((مَنْ كَانَ آخِرَ كَلامِهِ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ)) (٢)

وقد يختم الله لعبد من عباده بعمل صالح فيموت على ذلك العمل فيدخل بذلك العمل الجنة.

وها هو عامر بن عبد الله كان عليلا فسمع صوت المؤذن يقول حي على الصلاة فأراد أن يقوم للصلاة في المسجد فقيل له إنك مريض ولن تقدر قال كيف اسمع المولى عز وجل ينادى للصلاة ولا أجيبه فخرج إلى صلاه المغرب ومان صلى ركعه حتى فاضت روحه ومات على عمل طيب.

سبب للأمن في الدنيا والأخر فان تعالى قال {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا

---

١ – أخرجه البخاري من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، في الصحيح ١١/ ٣٤٠ – ٣٤١، كتاب الرقاق (٨١)، باب التواضع (٣٨)، الحديث (٦٥٠٢).

٢ –أخرجه أحمد "٥/٢٤٧" وأبو داود "٣/٤٨٦" كتاب الجنائز، حديث "٣١١٦" والحاكم "١/٣٥١" والطبراني في "المعجم الكبير" "٢٠/١١٢" رقم "٢٢١" والبيهقي في "شعب الإيمان" "١/١٠٨" رقم "٩٤"

تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ } [فصلت: ٣٠ - ٣٢]

الحَياةُ الطَّيِّبةُ: قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧]؛ وقال سبحانه: ﴿ وَأَلَّوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾ [الجن: ١٦]. والمَقْصودُ: أنَّهم لَو اسْتَقامُوا على طَرِيقَةِ محمدٍ ﷺ وأصحابِه رضي الله عنهم، بالإيمانِ والعَمَلِ الصَّالِحِ؛ لَأَحْيَيْناهُمْ في هذه الدُّنيا حَيَاةً طَيِّبَةً.

يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ: قال رسول الله ﷺ : «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ [اسْتَقَامَ عَلَى عَدْلِه] وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ [اسْتَقَامَ عَلَى عِبادَةِ رَبِّه] وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ [اسْتَقَامَ عَلَى المُحافَظَةِ على صَلاةِ الجَماعَةِ] وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ [اسْتَقَامَا على الحُبِّ في اللهِ] وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ [اسْتَقَامَ عَلَى الخَوفِ مِنَ اللهِ] وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ [اسْتَقَامَ عَلَى الإِخْلاصِ للهِ، والبُعْدِ عَنِ الرِّيَاءِ] وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ [اسْتَقَامَ عَلَى الإِخْلاصِ للهِ]»(١)

---

١ – أخرجه البخاري في: ١٠ كتاب الزكاة: ٣٦ باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد

الدرس السابع والعشرون

وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟

الحمد لله الذي رسم في جميع مصنوعاته على وجوده وكماله دليلا، الحي العليم السميع البصير الملك الكبير لا يدركه الوهم ولا يحده الفكر تمثيلا، تعالى ذو الملك والملكوت، لم يزل ولا يزال عظيما مقتدرا جليلا، تقدس ذو العزة والجبروت، فلا تستطيع الأوهام إليه وصولا.

وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلي يوم لقاءه

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

الله زاد محمد تكريما وحباه فضلا من لدنه عظيما

واختاره في المرسلين كريما ذا رأفة بالمؤمنين رحيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

يا أمة الهادي خصصتم بالوفا بين الورى والصدق أيضا والصفا

صلوا على الهادي المصطفى فالله قد صلى عليه قديما

فصلوا عليه وسلموا تسليما

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَأَتَى عَلَى جُمْدَانَ، فَقَالَ: " هَذَا جُمْدَانُ، سِيرُوا، سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ " قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ قَالَ: " الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا ". (١)

أخي القارئ .... أختي القارئة: في رحلة سار فيها النبي ﷺ هو وأصحابه فمر النبي ﷺ بجبل يقال له «جمدان بِضَم الْجِيم وَسُكُون الْمِيم جبل بَين قدير وَعُسْفَان من منَازِل أسلم» فاشا راليه الحبيب ﷺ وقال سبق المفردون ! و هنا قال الصحابة" وَمَا الْمُفَرِّدُونَ" قَالَ: " الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا "

والمفردون قَالَ القَاضِي عِيَاض ضبطناه على متقني شُيُوخنَا بِفَتْح الْفَاء وَكسر الرَّاء

وَقَالَ ابْن الْأَعرَابِي فَرد الرجل إِذا تفقه وَاعْتَزل النَّاس وخلا بمراعاة الْأَمر وَالنَّهْي

وَقَالَ الْأَزْهَرِي هم المتحلون من النَّاس بِذكر الله تَعَالَى

---

١ –حديث صحيح، وهذا سند حسن في المتابعات، وعبد الرحمن متابع.

وأخرج الشطر الأول منه مسلم (٢٦٧٦)، وابن حبان (٨٥٨)، والبيهقي في "الشعب" (٥٠٤)، وفي "الدعوات الكبير" (١٨)، وابن حجر في "نتائج الأفكار" ١/ ٣٢ من طريق روح بن القاسم، عن العلاء بن عبد الرحمن، بهذا الإسناد. وانظر (٨٢٩٠).

وأخرج الشطر الثاني مسلم (١٣٠٢) من طريق روح بن القاسم، عن العلاء، به. وانظر (٧١٥٨).

قَالَ الْقُرْطُبِيّ وَإِنَّمَا ذكر النَّبِي ﷺ هَذَا القَوْل عقب قَوْله هَذَا جمدان لِأَن جمدان جبل مُنْفَرد بِنَفسِهِ هُنَاكَ لَيْسَ بحذائه جبل مثله فَذكره بهؤلاء المفردين وَالله أعلم»(١)

أن دوام الذكر لما كان سببًا لدوام المحبة، وكان الله سبحانه أحق بكمال الحب والعبودية والتعظيم والإجلال كان كثرة ذكره من أنفع ما للعبد، وكان عدوه حقًا هو الصاد له عن ذكر ربه عز وجل وعبوديته؛ ولهذا أَمَرَ سبحانه بكثرة ذكره في القرآن، وجعله سببًا للفلاح، فقال تعالى: {وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠)} [الجمعة: ١٠]، وقال: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١)} [الأحزاب: ٤١]، وقال: {وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ} [الأحزاب: ٣٥] ، وقال: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [المنافقون: ٩]، وقال: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} [البقرة: ١٥٢].

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "ألا أنبِّئُكم بخير أعمالِكم، وأزكاها عند مَليكِكم، وأرفعها في درَجاتِكم، وخيرٌ لكم من إنفاق الذهبِ والورِق، وخيرٌ لكم من أن تلقَوا عدوَّكم فتضرِبوا أعناقَهم ويضربوا أعناقَكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله"(٢)

فأهل الذكر هم أهل السبق كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ أَبَا ذَرٍّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ أَصْحَابُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فُضُولُ أَمْوَالٍ يَتَصَدَّقُونَ بِهَا، وَلَيْسَ لَنَا مَا نَتَصَدَّقُ بِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَاتٍ، إِذَا عَمِلْتَ بِهِنَّ

---

١ –«سلاح المؤمن في الدعاء» (ص٥٦)

٢ –سنن الترمذي (رقم:٣٣٧٧) ، سنن ابن ماجه (٣٧٩٠) ، والمستدرك (٤٩٦/١) ، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع (رقم:٢٦٢٩).

أَدْرَكْتَ مَنْ سَبَقَكَ، وَلَا يَلْحَقُكَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ بِمِثْلِ عَمَلِكَ؟ " قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: " تُكَبِّرُ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَخْتِمُهَا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " (١).

وروى أبو داود في سننه من حديث أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ-: «لأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللهَ تَعَالَى مِنْ صَلاَةِ الْغَدَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَلأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللهَ مِنْ صَلاَةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً» (٢).

ومما يدل على فضل الذكر ومكانته العظيمة وأنه ينوب عن بعض الأعمال، ويقوم مقامها ما رواه أبو نعيم في كتابه معرفة الصحابة من حديث عبد الله بن حبيب أن النبي ﷺ قال: «من ظن بالمال أن ينفقه، وبالليل أن يكابده، فعليه بسبحان الله وبحمده» (٣).

وقد أمر الله عباده المؤمنين بالذكر الكثير فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} [الأحزاب: ٤١ - ٤٢].

والنبي ﷺ شرع لأمته من الأذكار ما يملأ الأوقات! فلكل حالة أو زمن ذكر يخصه ففي الصباح أذكار مخصوصة، وفي المساء كذلك وعند النوم، واليقظة، وعند دخول البيت والخروج منه، وعند طعامه وشرابه، وغير ذلك

---

١ – وأخرج البخاري (٨٤٣) و (٦٣٢٩)، ومسلم (٥٩٥)، والنسائي في "عمل اليوم والليلة" (١٤٦)، وابن خزيمة (٧٤٩)، وأبو عوانة ٢/ ٢٤٨ و ٢٤٩).

٢ – سنن أبي داود برقم (٣٦٦٧) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ٦٩٨) برقم (٣١١٤)

٣ – برقم (٣٦٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٦٣٧٧).

من أحواله، ولاشك أن من حافظ على هذه الأذكار فإنه سيكون من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات وبهذا يأمن مما اتصف به المنافقون حيث يقول الله عنهم: {إِنَّ المُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاَةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً} [النساء: ١٤٢].

ومن الأذكار العامة التي تشرع في كل وقت: ما رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن عباس عن جويرية: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ. فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا». قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» (١).

وروى الإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه من حديث أبي أمامة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «أَلاَ أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلَ وَأَكْثَرَ مِن ذِكْرِكَ اللَّيْلَ مَعَ النَّهَارِ وَالنَّهَارَ مَعَ اللَّيْلِ؟ أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ، وَسُبْحَانَ الله مِلءَ مَا خَلَقَ، وَسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا فِي الأَرضِ وَالسَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ الله مِلءَ مَا فِي الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَسُبْحَانَ الله عَدَدَ كُلِّ شَيءٍ، وَسُبْحَانَ الله مِلءَ كُلِّ شَيءٍ، وَتَقُولُ: الحَمْدُ لله مِثْلَ ذَلِكَ» (٢).

---

١ –صحيح مسلم برقم (٢٧٢٦).

٢ –مسند الإمام أحمد (٣٦/ ٤٥٩) برقم (٢٢١٤٤)، وقال محققوه: حديث صحيح، وصحيح ابن حبان برقم (٨٢٧) واللفظ له.

الثامن والعشرون

وما خرفة الجنة؟

الحمد لله الذي زين قلوب أولياءه بأنوار الوفاق، وسقى أسرار أحبائه شرابا لذيذ المذاق، وألزم قلوب الخائفين الوجل والإشفاق، فلا يعلم الإنسان في أي الدواوين كتب ولا في أيّ الفرقين يساق، فأن سامح فبفضله، وان عاقب فبعدله، ولا اعتراض على الملك الخلاق.

وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلي يوم لقاءه

يا رب:

يظن الناس بي خيرا وإني أشر الناس إن لم تعف عني

ومالي حيلة إلا رجائي وجودك إن عفوت وحسن ظني

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

البشير النذير السراج المنير الذي عم نوره الأفاق، والنور الذي لا يعترض ضياءه كسوف ولا محاق، الحبيب القرب الذي أسري به على البراق، إلي إن جاوز السبع الطباق.

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ» ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «جَنَاهَا» (١)

أخي القارئ .... أختي القارئة: جاء الإسلام ليبني مجتمعا و أمة متماسكة متآلفة يحنو الكبير فيها على الصغير ، و يرحم فيها القوي الضعيف، أمة متعاطفة ، لذا شرع الله تعالى من العبادات ما يرسخ به تلك القيم ،فشرع آدابا و حقوقا للأخوة الإيمانية، ومن تلك الحقوق حق زيارة و عيادة المريض ....وها هو النبي - ﷺ -: يبن لأصحابه ثمرة تلك العبادة أن صحابها لا يزال في (خُرْفَةِ الْجَنَّةِ) و هنا تساءل الصحب الكرام عن خرفة الجنة فقال النبي- ﷺ -: «جَنَاهَا» .....

قوله و (من عاد مريضًا) ولو غير مسلم كما عاد - ﷺ -: اليهودي الذي كان يخدمه وكثيرًا من الناس لا يعود جاره وقريبه لتوهمه أنه عاص بسبب ملابسته ما يظن كذلك. (لم يزل في خرفة الجنة) بضم الخاء المعجمة وفتحها وسكون الراء: ما يخترف يجتنى من التمر، شبه ما يحوزه من الثواب بحوز المخترف بستانا بجنته (حتى يرجع) وقيل: المراد بالخرفة هنا:

---

١ – رواه مسلم رقم (٢٥٦٨) في البر والصلة، باب فضل عيادة المريض، والترمذي رقم (٩٦٧) في الجنائز، باب ما جاء في عيادة المريض.

الطريق، قال ابن جرير: وهو صحيح إذ معناه عليه أن عابره لا يزال سالكًا طريق الجنة لا أنه من الأمور التي يتوصل بها إليها انتهى. (١)

قلت: قد فسره - ﷺ -: بما قيل له: وما خرفة الجنة يا رسول الله؟ قال: جناها.

عن عليّ - رضي الله عنه -، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ -: -، يَقُولُ (مَا مِنْ مُسْلِم يَعُودُ مُسْلِماً غُدْوة إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِي، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ في الْجَنَّة) (٢)

عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله - ﷺ - : (من عاد مريضاً أو زار أخاً له، قيل له: طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً) (٣)

وقد اختلف العلماء في حكم عيادة المريض:

القول الأول: أنها سنة مؤكدة.

وهذا قول جمهور العلماء.

للأحاديث الكثيرة التي سبقت في فضلها.

القول الثاني: أنها فرض كفاية.

وهذا اختيار ابن القيم رحمه الله، وهذا القول هو الراجح، للأمر بها:

---

١ – التنوير شرح الجامع الصغير (١٠/ ٣٠٦)

٢ –رواه أبو داود رقم (٣٠٩٨) و (٣٠٩٩) و (٣١٠٠) في الجنائز، باب فضل العيادة، والترمذي رقم (٩٦٩) في الجنائز، باب ما جاء في عيادة المريض، وهو حديث صحيح، وقال أبو داود: وأسند هذا عن علي رضي الله عنه من غير وجه صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٣ –أخرجه أحمد (٣٢٦/٢) قال: حدثنا موسى بن داود. قال: حدثنا حماد بن سلمة. وفي (٣٤٤/٢)

كما في حديث البراء بن عازبٍ السابق قال (أمرنا رسولُ الله - ﷺ - : بِسَبعٍ: ... بِعَيادَةِ المريض). (١)

وكما في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - : قال (حَقُّ الْمُسلِمِ عَلَى الْمُسلِمِ خَمْسٌ: .. وَعِيادَةُ المَريض). (٢)

وكما في حديث أبي موسى -رضي الله عنه -قال: قالَ رسولُ اللهِ - ﷺ -: (عُودُوا المَرِيضَ ...).(٣)

فضل وثواب عيادة المريض :

١-الجلوس في معية الله عز وجل:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :إِنَّ اللهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا ابْنَ آدَمَ ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي ، قَالَ : يَا رَبِّ ، كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلاَنًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ ، يَا ابْنَ آدَمَ ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي ، قَالَ : يَا رَبِّ ، وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟

قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي ، يَا ابْنَ آدَمَ ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي ، قَالَ : يَا رَبِّ ، كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، قَالَ : اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِهِ ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي. (٤)

---

١ – أخرجه البخاري (٦٢٣٥) ومسلم (٢٠٦٦).

٢ – أحمد (٨٣٩٧)، وابن ماجة (١٤٣٥)، وأصله عند مسلم (٢١٦٢)، والبخاري (١٢٤٠).

٣ – أخرجه أحمد (١١٢٧٠)، وابن حبان (٢٩٥٥)، والطيالسي (٢٢٤١)، والبزار (٨٢٢)، وأبو يعلى (١١١٩)، والبغوي (١٥٠٣)، وابن المبارك في الزهد (٢٤٨)، والبيهقي في الشعب (٩١٨٠).

٤ – أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" ٥١٧ و"مسلم" ٦٦٤٨ و"ابن حبَّان" ٢٦٩ و٩٤٤.

قال النووي : " قَالَ الْعُلَمَاء : إِنَّمَا أَضَافَ الْمَرَض إِلَيْهِ سُبْحَانه وَتَعَالَى ، وَالْمُرَاد الْعَبْد تَشْرِيفًا لِلْعَبْدِ وَتَقْرِيبًا لَهُ . قَالُوا : وَمَعْنَى (وَجَدْتنِي عِنْده) أَيْ وَجَدْت ثَوَابِي وَكَرَامَتِي ([1])" .

وقال المناوي : " قال في العيادة لوجدتني عنده وفي الإطعام وكذا السقي لوجدت ذلك عندي إرشادا إلى أن الزيارة والعيادة أكثر ثوابا منهما وقال السبكي رضي الله عنه : سر ذلك أن المريض لا يروح إلى أحد بل يأتي الناس إليه فناسب قوله لوجدتني عنده بخلاف ذينك فإنهما قد يأتيان لغيرهما من الناس" . ([2])

٢-صلاة الملائكة عليه :

من فضائل وثمار عيادة المريض أن الملائكة تصلي على العائد وتستغفر له ، فعنْ أَبِي فَاخِتَةَ ، قَالَ : أَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِي ، قَالَ : انْطَلِقْ بِنَا إِلَى الْحَسَنِ نَعُودُهُ ، فَوَجَدْنَا عِنْدَهُ أَبَا مُوسَى ، فَقَالَ عَلِيٌّ ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ : أَعَائِدًا جِئْتَ ، يَا أَبَا مُوسَى ، أَمْ زَائِرًا ؟ فَقَالَ : لاَ ، بَلْ عَائِدًا ، فَقَالَ عَلِيٌّ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:مَامِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً ، إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، حَتَّى يُمْسِيَ ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً ، إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، حَتَّى يُصْبِحَ ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ. ([3])

٣-نزول الرحمة والمغفرة:

[1] – شرح صحيح مسلم ٣٧١/٨.

[2] – راجع : فيض القدير ٣١٢/٢.

[3] – أخرجه أحمد ٩١/١ (٧٠٢) و"التِّرمِذي" ٩٦٩.

عن عُمَر بن الحَكَم بن رافع الأَنْصَارِي، قال: سَمِعْتُ جابرَ بنَ عَبْد اللهِ ، قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:مَنْ عَادَ مَرِيضًا ، خَاضَ فِي الرَّحْمَةِ ، حَتَّى إِذَا قَعَدَ اسْتَقَرَّ فِيهَا. (١)

عَنْ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي دَاوُدَ، قَالَ: أَتَيْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، إِنَّ الْمَكَانَ بَعِيدٌ ، وَنَحْنُ يُعْجِبُنَا أَنْ نَعُودَكَ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:أَيُّمَا رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا ، فَإِنَّمَا يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ ، فَإِذَا قَعَدَ عِنْدَ الْمَرِيضِ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ ، قَالَ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، هَذَا لِلصَّحِيحِ الَّذِي يَعُودُ الْمَرِيضَ ، فَالْمَرِيضُ مَا لَهُ ؟ قَالَ: تُحَطُّ عَنْهُ ذُنُوبُهُ. (٢)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَنَا.

قَالَ فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً. قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَنَا.

قَالَ فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَنَا.

قَالَ فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ أَنَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا اجْتَمَعْنَ في امْرِئٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّة. (٣)

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ نَافِعٍ ، قَالَ : عَادَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : أَعَائِدًا جِئْتَ أَمْ زَائِرًا ؟ فَقَالَ أَبُو مُوسَى : بَلْ جِئْتُ عَائِدًا ،

---

١ – أخرجه البُخَارِي ، في (الأدب المفرد) ٥٢٢.

٢ – أخرجه أحمد ١٧٤/٣(١٢٨١٣).

٣ – أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥١٥) و"مسلم" ٩٢/٣ و١١٠/٧ .

فَقَالَ عَلِيٌّ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:مَنْ عَادَ مَرِيضًا بُكْرًا ، شَيَّعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، كُلُّهُمْ يَسْتَغْفِرُ لَهُ حَتَّى يُمْسِيَ ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَإِنْ عَادَهُ مَسَاءً ، شَيَّعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، كُلُّهُمْ يَسْتَغْفِرُ لَهُ حَتَّى يُصْبِحَ ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ(١).

٤-السعادة والنعيم: فالله تعالى يجعل ثواب العائد سعادة ورضا ، فهو في ممشاه إلى المريض يمشي في رياض الجنة ، ويتبوأ منها منزلاً ، عَنْ ثَوْبَانَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ:إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى يَرْجِعَ. (٢)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:إِذَا عَادَ الْمُسْلِمُ أَخَاهُ ، أَوْ زَارَهُ ، قَالَ اللهُ ، عَزَّ وَجَلَّ : طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ ، وَتَبَوَّأْتَ فِي الْجَنَّةِ مَنْزِلاً.

- وفي رواية: مَنْ عَادَ مَرِيضًا، أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللهِ ، نَادَاهُ مُنَادٍ : أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً. (٣)

---

١ – وأخرجه أحمد ١٢١/١ (٩٧٦) و"أبو داود" ٣٠٩٨.

٢ – أخرجه أحمد ٢٧٦/٥(٢٢٧٣١) و"مسلم" ١٢/٨(٦٦٤٣) .

٣ – أخرجه أحمد ٣٢٦/٢(٨٣٠٨) و"البُخاري" في "الأدب المفرد" ٣٤٥ و"ابن ماجة" ١٤٤٣ .

الدرس التاسع والعشرون

وَمَا الصَّقُورُ؟

الحمد لله الحي العليم السميع البصير القادر، المتكلم بكلام قديم أزليّ هو به ناه وآمر، زين قلوب العارفين بنور هدايته فأضاء منها السرائر ن من رضي بدونه فهو الخائن الغادر، الشقي من حرمه، والسعيد من رحمه، والطريد من حجبه، والقريب من جذبه، والنادم من أهانه، والسالم من أعانه، وقد علم الوليّ والعدو والرابح والخاسر.

وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير

سبحانه أوضح الدلالة وبين، وحبب الإيمان إلى المؤمنين وزيّن، وطبع على قلوب الجاحدين فهم يجادلون في الحق بعد ما تبين.

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

عَنْ مَالِكِ بْنِ أُخَيْمِرَ الْيَمَامِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الصَّقُورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَعَدْلًا» قِيلَ: وَمَا الصَّقُورُ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يُبَالِي مَنْ دَخَلَ عَلَى أَهْلِهِ» (١)

وَعَن عمار بن يَاسر رضي الله عنه عَن رَسُول الله - ﷺ - قَالَ ثَلَاثَة لَا يدْخلُونَ الْجنَّة أبدا الديوث والرجلة من النِّسَاء ومدمن الْخمر قَالُوا يَا رَسُول الله أما مدمن الْخمر فقد عَرفْنَاهُ فَمَا الديوث
قَالَ الَّذِي لَا يُبَالِي من دخل على أَهله قُلْنَا فَمَا الرجلة من النِّسَاء قَالَ الَّتِي تشبه بِالرِّجَالِ" (٢)

أخي القارئ .... أختي القارئة: في هذين الحديثين يتحدث النبي- ﷺ - عن عقوبة الديوث الذي لا يبالي من دخل على أهله و يرضى و يقر فيهم الفاحشة

وَالدَّيُّوثُ الْقَوَّادُ عَلَى أَهْلِهِ وَالَّذِي لَا يَغَارُ عَلَى أَهْلِهِ وَالتَّذْثِيثُ الْقِيَادَةُ. وَفِي الْمُحْكَمِ: الدَّيُّوثُ الَّذِي يَدْخُلُ الرِّجَالُ عَلَى حَرَمِهِ بِحَيْثُ يَرَاهُمْ، وَقَالَ ثَعْلَبُ: هُوَ الَّذِي يُؤْتَى أَهْلُهُ وَهُوَ يَعْلَمُ»(٣)

«قال ابن القيم: وذكر الديوث في هذا وما قبله يدل على أن أصل الدين الغيرة ومن لا غيرة له لا دين له فالغيرة تحمي القب فتحمي له الجوارح فترفع السوء والفواحش وعدمها يميت القلب فتموت الجوارح فلا يبقى

---

١ – موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان (ص: ٢٠٩) الصحيحة" (٣١٤٢)، "الإرواء" (١/ ٢٠٥)، "الظلال" (٢/ ٤٦٣ – ٤٦٤)

٢ – أخرجه السرقسطي في الدلائل (١/ ٢٣٨)، والطبراني كما في جامع المسانيد (٦/ ٣٤٢ رقم ٧٨٥١) وعنه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٥٢٠٩)، والبيهقي في الشعب (١٣/ ٢٦١ –٢٦٢ رقم ١٠٣١٠) وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٠٧١) و (٢٣٦٧).

٣ – «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (٢/ ٨٢):

عندها دفع البتة والغيرة في القلب كالقوة التي تدفع المرض وتقاومه فإذا ذهبت القوة كان الهلاك»(١)

وهذا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يروي عنه: أنه لما رأى الأسواق يزدحم فيها الرِّجال والنساء، قال - غَيْرة على نساء المسلمين -: ألا تستحيون؟ ألا تغارون؟ فإنه بلغني أن نساءَكم يزاحِمْن العلوج - أي: الأجانب - في الأسواق، وقد سمعتُ عائشة - رضي الله عنها - تقرأ قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ثم تضع خمارها على وجْهِها وتبكي وتقول: "خان النساء العهد، خان النساء العهد".

إنَّ الغَيْرةَ نوعان:

غَيْرة محمودة: وهي المُعْتدِلة الشرعيَّة، التي تجعل صاحبها يحمي المحارِم والشرَف والعفاف من كلِّ مُجرم وغادرٍ.

والنوع الثاني: غَيْرة مذْمومة: وهي أن يشكَّ الرجلُ في أهْلِه، ويتجَسَّس عليهم، ويظن بهم ظنَّ السوء، وهم بعيدون عنه كلَّ البُعد، وكم تفَكَّكت بيوت وانهارتْ أُسَرٌ؛ بسبب هذا الظن السيئ من غير دليل ولا بيان! وهذه الغَيْرة يبغضها الله تعالى؛ عن جابر بن عتيك: أن النبي ﷺ قال: ((إن من الغَيْرة ما يحِب اللهُ، ومن الغَيْرة ما يبغض الله، فأما الغيرة التي يحِبُّها الله، فالغَيْرة في الريبة، وأما الغَيْرة التي يبغض الله، فالغَيْرة في غير الريبة))؛ رواه أحمد، وأبو داود، والنَّسائي، وقد صحَّح الحديثَ الحاكمُ وابنُ حجر وغيرهما.

---

١ -«فيض القدير» (٣/ ٣٢٧):

غيرة ﷺ على الأعراض غيرته على تلك المرأة التي تعرض لها أحد يهود بني قينقاع، روي ابن هشام عن أبي عون: أن امرأة من العرب قدمت بجَلَبٍ لها، فباعته في سوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فَعَمَد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها. وهي غافلة. فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا بها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله. وكان يهودياً فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع(١) .

ومن غيرة المعصوم ﷺ عن عائشة قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي رجل قاعد فاشتد ذلك عليه ورأيت الغضبفي وجهه، قالت: فقلت: يا رسول الله إنه أخي من الرضاعة، قالت: فقال: (انظرن إخوتكن من الرضاعة؛ فإنما الرضاعة من المجاعة) (٢) .

غيرة معاذ بن جبل (رضي الله عنه):

و من غيرة شيدنا معاذ رضي الله عنه ما ذكر ابن القيم رحمه الله في روضة المحبين حيث قال: بينا معاذ (رضي الله عنه) جالس مع زوجته وهما يأكلان تفاح إذا دخل عليهما الخادم وكانت بيد زوجة معاذ تفاحه فنظر الخادم إليها وقد أكلت منها فدفعتها إليه فقام معاذ (رضي الله عنه) فأوجعها ضربا غيرة عليها، لأنها قد أعطته من التفاحة التي أكلت منها (٣).

---

١ –الرحيق المختوم (ص: ٢٠٠).

٢ –أخرجه أحمد (٩٤/٦، رقم ٢٤٦٧٦)، والبخاري (٩٣٦/٢، رقم ٢٥٠٤)، ومسلم (١٠٧٨/٢، رقم ١٤٥٥)، وأبو داود (٢٢٢/٢، رقم ٢٠٥٨)، والنسائي (١٠٢/٦، رقم ٣٣١٢)، وابن ماجه (٦٢٦/١، رقم ١٩٤٥).

٣ –روضة المحبين

يُكتب هذا في مكارم الأخلاق: يروى أن امرأة تقدمت إلى مجلس القاضي موسى بن إسحاق بمدينة الريّ... فادّعى وكيلها بأن لموكِّلته على زوجها خمسمائة دينار (مهرها)، فأنكر الزوج فقال القاضي لوكيل الزوجة: شهودك.

قال: أحضرتهم.

فطلب بعض الشهود أن ينظر إلى المرأة، ليشير إليها في شهادته، فقام الشاهد وقال للمرأة: قومي.

فقال الزوج: ماذا تفعلون؟

قال الوكيل: ينظرون إلى امرأتك وهي سافرة الوجه، لتصحّ عندهم معرفتها (وذلك للحاجة).

قال الزوج: إني أُشهد القاضي أنّ لها عليّ هذا المهر الذي تدّعيه ولا تُسفر عن وجهها.

فقالت المرأة: فإني أُشهِد القاضي أني وهبت له هذا المهر وأبرأتُ ذمته في الدنيا والآخرة.

فقال القاضي وقد أُعجِب بغَيرتهما: يُكتب هذا في مكارم الأخلاق.

الدرس الثلاثون

وَمَا ظَهْرُ غِنًى؟

الحمد لله الذي نور بجميل هدايته قلوب أهل السعادة، وطهر بكريم ولايته أفئدة الصادقين فأسكن فيها وداده، ودعاها إلى ما سبق لها من عنايته فأقبلت منقادة، الحميد المجيد الموصوف بالحياة والعلم والقدرة والإرادة، نحمده على ما أولى من فضل وأفاده، ونشكره معترفين بان الشكر منه نعمة مستفاده.

وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو علي كل شيء قدير شهادة أعدها من أكبر نعمه وعطائه، وأعدها وسيلة إلي يوم لقاءه

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه

الذي أقام به منابر الإيمان ورفع عماده، وأزال به سنان البهتان ودفع عناده

وعلى اله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته واقتدى بهديه واتبعهم بإحسان إلي يوم الدين ونحن معهم يا أرحم الراحمين

إخوة الإسلام: ان من المظاهر المنتشرة في تلك الأيام ظاهرة التسول و سؤال الناس من أناس ليسوا يفقراء و لا مساكين و انما هو التسول الذي اصبح مشروعا مربحا و اضاعوا بذلك فقراء محتاجين لا يسالون الناس الحافا..... و في هذا اللقاء نتكلم عن العقوبة التي ينتظرها هؤلاء يوم لا ينفع مال ولا بنون .....

عَنْ عَلِيٍّ، عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ -قَالَ: «مَنْ سَأَلَ مَسْأَلَةً عَنْ ظَهْرِ غِنًى اسْتَكْثَرَ بِهَا مِنْ رَضْفِ جَهَنَّمَ» . قَالُوا: وَمَا ظَهْرُ غِنًى؟ قَالَ: «عِشَاءُ لَيْلَةٍ» (١)

أخي القارئ .... أختي القارئة: اعلموا أن المسألة في الأصل حرام، وإنما أبيحت للحاجة والضرورة، لأنها ظلم في حق الربوبية، وظلم في حق المسئول، وظلم في حق السائل.

أما الأول: فلأنه بذل سؤاله وفقره وذله واستعطاءه لغير الله، وذلك نوع عبودية، فوضع المسألة في غير موضعها، وأنزلها بغير أهلها، وظلم توحيده وإخلاصه، وفقره إلى الله، وتوكله عليه ورضاه بقسمه، واستغنى بسؤال الناس عن مسألة رب الناس، وذلك كله يهضم من حق التوحيد، ويطفئ نوره ويضعف قوته.

وأما ظلمه للمسئول: فلأنه سأله ما ليس عنده، فأوجب له بسؤاله عليه حقا لم يكن له عليه، وعرضه لمشقة البذل، أو لوم المنع، فإن أعطاه، أعطاه على كراهة، وإن منعه، منعه على استحياء وإغماض، هذا إذا سأله ما ليس عليه، وأما إذا سأله حقا هو له عنده: فلم يدخل في ذلك، ولم يظلمه بسؤاله.

---

١ –أخرجه أحمد (١/١٤٧، رقم ١٢٥٢) ، والدارقطنى (٢/١٢١) ، والعقيلى (١/٢٢٣، رقم ٢٧٢) ، والضياء (٢/١٤٧، رقم ٥١٩) . صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٤٩٠) صحيح لغيره

وأما ظلمه لنفسه: فإنه أراق ماء وجهه، وذل لغير خالقه، وأنزل نفسه أدنى المنزلتين، ورضي لها بأبخس الحالتين، ورضي بإسقاط شرف نفسه، وعزة تعففه، وراحة قناعته، وباع صبره ورضاه وتوكله، وقناعته بما قسم له، واستغناءه عن الناس بسؤالهم، وهذا عين ظلمه لنفسه، إذ وضعها في غير موضعها، وأخمل شرفها، ووضع قدرها، وأذهب عزها، وصغرها وحقرها، ورضي أن تكون نفسه تحت نفس المسئول، ويده تحت يده، ولولا الضرورة لم يبح ذلك في الشرع.

وقد ثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله - ﷺ -: "ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم"(١)

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله - ﷺ - : "من سأل الناس أموالهم تكثرا، فإنما يسأل جمرا، فليستقل أو ليستكثر".(٢)

وَعَن سهل ابْن الحنظلية رضي الله عنه قَالَ قدم عُيَيْنَة بن حصن والأقرع بن حَابِس رضي الله عنهما على رَسُول - ﷺ -فَسَأَلَاهُ فَأمر مُعَاوِيَة فَكتب لَهما مَا سَأَلَا فَأَما الْأَقْرَع فَأخذ كِتَابه فلفه فِي عمَامَته وَانْطَلق وَأما عُيَيْنَة فَأخذ كِتَابه وأتى بِهِ رَسُول الله - ﷺ -فَقَالَ يَا مُحَمَّد أترَانِي حَامِلا إِلَى قومِي كتابا لَا أَدْرِي مَا فِيهِ كصحيفة المتلمس فَأخْبر مُعَاوِيَة بقوله رَسُول الله - ﷺ - فَقَالَ رَسُول الله - ﷺ -من سَأَلَ وَعِنْده مَا يُغْنِيه فَإِنَّمَا يستكثر من النَّار

---

١ – وأخرجه البخاري (١٤٧٤)، ومسلم (١٠٤٠) (١٠٤).

٢ – مسلم (١٠٤١)، وابن ماجه (١٨٣٨).

قَالَ النُّفَيْلِي وَهُوَ-رضيرُوَاته قَالُوا وَمَا الْغنى الَّذِي لَا تنبغي مَعَه الْمَسْأَلَة قَالَ قدر مَا يغديه ويعشيه(١)

وأخبر النبيُّ - ﷺ -: أن العمل وإن كان شاقًّا، والمال الذي يأتي منه قليلٌ - فهو خيرٌ للمرء من السُّؤال.

فعن الزُّبير بن العوَّام - رضي الله عنه -: أنَّ النبيَّ - ﷺ- قال: ((لأَنْ يأخُذَ أحدُكم حَبْلَهُ، فيأتي بحِزْمَةِ الحَطَب على ظهره، فيبيعها، فيَكْفِ الله بها وجهَه - خيرٌ له من أن يسأل الناس، أعطَوْهُ أو منعوه)) (٢).

وبَيَّنَ النبيُّ - ﷺ-: أنَّ السَّائل من غير ضرورةٍ ولا حاجةٍ مُلِحَّةٍ، إنما يفتح على نفسه باب الفقر.

فعن أبي كَبْشَةَ الأَنْماري - رضي الله عنه -: أنَّ النبيَّ - ﷺ- قال: ((ثلاثةٌ أُقْسِمُ عليهنَّ...))، وذكر منها: ((ولا فتح عبدٌ بابَ مسألةٍ؛ إلا فتح الله عليه بابَ فقرٍ)) (٣)

بل إنَّ النبيَّ - ﷺ- أَخَذَ البَيْعَةَ من بعض أصحابه ألاَّ يسألوا الناس شيئًا؛ فعن عوف بن مالك - رضي الله عنه - قال: "كنَّا عند رسول الله - ﷺ- تسعةً أو ثمانيةً أو سبعةً، فقال: ((ألا تُبايعونَ رسولَ الله - ﷺ؟))، وكنَّا حديثي عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ؛ فقلنا: قد بايعناكَ يا رسول الله، ثم قال: ((ألا تُبايعونَ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم؟))، فقلنا: قد بايعناكَ يا رسولَ الله، ثم قال: ((ألا تبايعونَ رسولَ الله - ﷺ؟))، قال: فبسطنا أيدينا، وقلنا: قد بايعناكَ يا رسول الله، فعلامَ نُبايِعُكَ؟ قال: ((على أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئًا - وأَسَرَّ

---

١ – أبو داود (١٦٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧٩٩).

٢ – صحيح البخاري (٤٥٦/١) برقم (١٤٧١).

٣ – سنن الترمذي (٥٦٣/٤) برقم (٢٣٢٥).

كلمةً خفيَّةً - ولا تسألوا الناس شيئًا)). فلقد رأيتُ بعض أولئك النَّفَر يَسْقُطُ سوطُ أحدهم، فما يسألُ أحدًا يناوله إيَّاه"(١).

وعن ثَوْبان - رضي الله عنه -: أنَّ رسول الله - ﷺ- قال: ((مَنْ يَتَقَبَّل لي بواحدةً، أَتَقَبَّل له بالجنة))، قال: قلتُ: أنا يا رسول الله، قال: ((لا تسأل الناس شيئًا))، قال: فربما سقط سوطُ ثَوْبان وهو على بعيره، فما يسأل أحدًا أن يناوله، حتى ينزل إليه فيأخذه(٢)

وكان الصحابة - رضي الله عنهم - يأخذون بهذا التوجيه النبوي الكريم، فلا يسألون الناس شيئًا من متاع الدنيا.

فعن حَكيم بن حِزَام - رضي الله عنه - قال: سألتُ النبيَّ - ﷺ - فأعطاني، ثم سألتُه فأعطاني، ثم سألتُه فأعطاني، ثم قال: ((يا حكيم، إن هذا المال خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فمَنْ أَخَذَهُ بسَخاوَة نَفْسٍ، بُورِكَ له فيه، ومَنْ أَخَذَهُ بإشراف نَفْسٍ، لم يُبارَك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خيرٌ من اليد السُّفلى))، قال حكيم: فقلتُ: يا رسول الله، والذي بَعَثَكَ بالحقِّ، لا أَرْزَأُ أحدًا بعدك شيئًا حتى أُفارِقَ الدُّنيا، فكان أبو بكر - رضي الله عنه - يدعو حكيمًا إلى العطاء، فيأبى أن يَقْبَلَ منه، ثم إن عمر - رضي الله عنه – دعاه ليعطيه، فأبى أن يَقْبَلَ منه شيئًا، فقال عمر: إني أُشْهِدُكم يا معشرَ المسلمين: أنِّي أعرض عليه حقَّه من هذا الفَيْء، فيأبى أن يأخذه؛ فلم يَرْزَأْ حكيمٌ أحدًا من الناس بعد رسول الله - ﷺ- حتى توفيَ - رضي الله عنه(٣)

---

١ – صحيح مسلم (٢/٧٢١) برقم (١٠٤٣).

٢ – مسند الإمام أحمد (٥/٢٨١).

٣ – صحيح البخاري (١/٤٥٦) برقم (١٤٧٢)، وصحيح مسلم (١/٧١٧) رقم (١٠٣٥).

وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيّ - رضي الله عنه -: أنَّ أُناسًا سألوا النبيَّ - ﷺ - فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ما عنده، فقال: ((ما يكون عندي من خيرٍ فلن أدَّخِرَه عنكم، ومَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفّه الله، ومَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله، ومَنْ يَتَصَبَّر يُصَبِّره الله، وما أُعطيَ أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسع من الصَّبر)) (١).

الفهرس

إهداء ثواب هذا الكتاب.....٣

المقدمة.....٤

الدرس الأول: القول السديد في فضل التوحيد.....٨

الدرس الثاني: بيان خطر الشرك.....١٣

الدرس الثالث: ثواب الصدقة على الأقارب.....١٩

الدرس الرابع: الذب عن عرض المسلم بالغيب.....٢٥

الدرس الخامس: الذكر الحسن في الدنيا.....٣٠

الدرس السادس: التجاوز عن المعسرين.....٣٥

الدرس السابع: الوصية الإبراهيمية.....٣٩

الدرس الثامن: من سأل الله الجنة بصدق.....٤٣

١ – صحيح البخاري (١/٤٥٥)، وصحيح مسلم (١/٧٢٩) برقم (١٠٥٣).

الدرس التاسع: رجاء رحمة الرحمن وحسن الظن به.....٤٨

الدرس العاشر: الخوف من الله.....٥٤

الدرس الحادي عشر: الرباط في سبيل الله.....٥٩

الدرس الثاني عشر: موانع البركة.....٦٦

الدرس الثالث: الأسباب الجالبة للبركة.....٧٤

الدرس الرابع عشر: تابع أسباب البركة.....٨٢

الدرس الخامس عشر: سورة الإخلاص.....٩٨

الدرس السادس عشر: قراءة آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة.....٩٣

الدرس السابع عشر: صلاة البردين.....٩٨

الدرس الثامن عشر: الإحسان إلى البنات.....١٠٤

الدرس التاسع عشر: الكلمة الطيبة.....١١٠

الدرس العشرون: الإنفاق على الأهل والعيال.....١١٥

الدرس الحادي والعشرون: إياكم ودعوة المظلوم.....١٢٠

الدرس الثاني والعشرون: خطر الميثاق.....١٢٨

الدرس الثالث والعشرون: خطر الظلمات الثلاث.....١٣٣

الدرس الرابع والعشرون: موانع الخشوع في الصلاة.....١٣٨

الدرس الخامس والعشرون موانع الخشوع في الصلاة (٢) ١٤٨

الدرس السادس والعشرون: ثمرات الاستقامة.....١٦٠

الدرس السابع والعشرون: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ ١٦٥

الثامن والعشرون: وما خرفة الجنة؟ ١٧٠

الدرس التاسع والعشرون: وَمَا الصَّقُورُ؟ ١٧٧

الدرس الثلاثون وَمَا ظَهْرُ غِنًى؟ ١٨٢